الدَّورُ الاستخباراتيُّ لحماية الرَّسول ﷺ بمكَّة خلال الهجرة المباركة عام ١٣ من البعثة

د. حسن عوض الشهري

أستاذ مساعد جامعة الطائف

المملكة العربية السعودية

المستخلص

تبحث هذه الدِّراسة في الدَّور الاستخباراتيِّ لحماية الرَّسول ﷺ بمكَّة خلال الهجرة النَّبويَّة المباركة، وتُعالج بعض المفاهيم الخاطئة من خلال الرِّوايات التي وردت في المصادر التاريخية. وجاءت هذه الدِّراسة في مُقدِّمة تناولت أهمِّية الموضوع والدِّراسات السَّابقة وخطَّة الدِّراسة وحُدودها، ثم التَّمهيد الذي تناول فيه الباحث التَّعريف بالشَّخصيَّات التي تولَّت تلك المهمَّات، ثم قسَّم الباحث بحثه إلى أربعة مباحث، الأوَّل تناول فيه دور علي بن أبي طالب ﷺ الاستخباراتيَّ للحماية في الهجرة المباركة، وأما الثَّاني فكان عن دور عبد الله بن أبي بكر الصِّدِّيق ﷺ الاستخباراتيِّ للحماية في الهجرة المباركة، وفي الثَّالث بيَّن الباحث دور أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها الاستخباراتيّ للحماية في الهجرة المباركة، وأما الرَّابع فعالج دور عامر بن فهيرة ﷺ في تلك المهمّة الاستخباراتيّ، ثم خُتم البحث بأهم النتائج التي أمكن الوصول إليها، والتي منها: أن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها لم تكن تأتيهما بالطعام كل ليلة. ومنها أن دور عبد الله بن أبي بكر ﷺ اقتصر على جمع ونقل وتحليل المعلومة الاستخباراتيّة. ومنها أن عامر بن فهيرة ﷺ كان يقوم بمهمتين استخباراتيَّين مُختلفتين، هما التَّظليل على المشركين، والتَّموين الغذائي.

الكلمات المفتاحيَّة: الهجرة – السيرة النَّبويَّة – العهد المكِّي – الاستخبارات – الحماية.

The Intelligence Role of Protecting the Messenger (Peace and Blessings of Allah be upon him) in Makkah during the Blessed Migration

Year 13 from the Prophet's Mission

Dr. Hasan Awed ALshehri

Taif University

Abstract

The aim of this study is to investigate that the role of intelligence in protecting the Messenger, Peace and Blessings of Allah be upon him, during the blessed Prophet's migration, and deals with some misconceptions through the narrations mentioned in the sources. The first part of this study includes an introduction which deals with the importance of the subject, previous studies, the study plan and its limits. Then the researcher divided his research into four parts; the first part deals with the intelligence role of Ali bin Abi Talib, May Allah be pleased with him, in protecting the blessed migration; the second part deals with the intelligence role of Abdullah bin Abi Bakr Al-Siddiq, May Allah be pleased with him, in protecting the blessed migration; the third part deals with the intelligence role of Asmaa bint Abi Bakr, May Allah be pleased with her, in protecting the blessed migration; and the fourth part deals with the intelligence role of Amer bin Fahirah, May Allah be pleased with him, in protecting the blessed migration. The study reached the following result:

- Asma bint Abi Bakr, May Allah be pleased with her, did not bring them food every night.
- The role of Abdullah bin Abi Bakr, May Allah be pleased with him, was limited to collecting, transmitting and analyzing intelligence information.
- Amer bin Fahirah, May Allah be pleased with him, performed two different intelligence missions, including, misleading the polytheists, and providing food.

Keywords: Al-Hidjra - Biography of the Prophet – Meccan era – Intelligence – protection.

المقدِّمة:

تسعى جميع الدُّول – القديمة والحديثة – إلى إيجاد تنظيم مُؤسَّسي يتولَّى مهمَّة الاستخبارات بما يتوافق مع ظروفها وإمكاناتها، لِمَا لهذا الجهاز من أهمية بارزة في التَّخطيط السَّليم والمحكم لمواجهة الأعداء من خلال جمع وتحليل المعلومات الواردة إلى هذا الجهاز المؤسَّسي المتكامل، وكذلك من خلال التّصدِّي لمخططات العدو في الوقت المناسب، وبفضل هذا الجهاز تحمي الأمم أمنها الدَّاخلي والخارجي لضمان استمراريتها.

ولقد كان العمل الاستخباراتيّ شائعًا وضاربًا في جذور التاريخ وقبل تكوين الإمبراطوريات، ولا ريب أن أهمية هذا العمل جعلته متواجدًا ومستمرًا في الدول السابقة واللاحقة لما له من دور هام في الحالة الأمنية العامة والخاصة؛ حيث نجده في بلاط الإغريق واليونان على حدٍّ سواء، وفي الإمبراطوريتين الفارسية والرومانية ومن تبعهم من الدول المجاورة، وقد استمرّ الأمر – ولا يزال – حتى عصر الدول الحديثة(١).

ولا ريب أن موضوع الهجرة النبوية كان يحتاج إلى عمل استخباراتي هام لحماية الرسول ﷺ؛ فمن المعلوم أن هذه الهجرة المباركة قد سبقها تخطيط وتفكير في طُرق إيقاف دعوة الرَّسول ﷺ، حيث أثبت هذا الموقف النص القرآني بقوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾(٢)، كما أثبتت كتب المصادر ذلك الحدث بكثير من التفصيلات الدقيقة، ومنها تسمية ذلك اليوم بيوم الزَّحْمة(٣)، وهو اليوم الذي اتَّحدوا فيه – بوصف القرآن الكريم – لتحديد العمل الذي يمكن به إيقاف دعوة الرَّسول ﷺ أو على الأقل إيقافه عن الهجرة إلى يثرب بعد بيعة العقبة الثانية.

---

(١) عبد الوهاب جان أزهار: "الاستخبارات في العهد المكي دراسة تحليلية"، مجلة العلوم الإسلامية والدينية، مجلد ٤، ع١، يناير/يونيو ٢٠١٩م، ٣٦.

(٢) سورة الأنفال: ٣٠.

(٣) يوم الزَّحْمة: لم أجد سببًا يدعو لهذه التّسمية في المصادر، ولكن لعلَّه لكثرة من اجتمع في هذا اليوم من أشراف قريش وملئهم، واتِّفاقهم فيه على رأي رجل واحد من دون خلاف؛ لأن الزَحْم هو ازدحام القوم مع بعضهم البعض من كثرة الزحام، أي تضايقوا من الكثرة. ابن هشام: عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري، السّيرة النَّبويَّة، تحقيق: مصطفى الأعضمي وآخرون، د.ط، علوم القرآن، جدة، د.ت، ٤٦٠/١؛ الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك، ط٤، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م،٥٦٦/١؛ ابن منظور: أبو الفضل جمال الدين، لسان العرب، ط٣، بيروت، دار صادر، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م، ١٥٤/١٥.

ومن خلال هذا القرار الذي توصّل إليه اجتماع دار النَّدْوة[٤] الذي يقضي بضرورة التخلُّص من النبيّ ﷺ وذلك بجمع عدد من فتيان قريش، من كل بطن من بطونها، على شرط أن يكون "فتى شابًّا جليدًا نسيبًا وسيطًا فينا"[٥]، لقتله ﷺ جميعًا حتى يضيع دمه بين تلك البطون فلا يطالب به أحد[٦]، ولكن أمر الله قد حال دون مكرهم بالإذن لنبيّه ﷺ بالهجرة إلى المدينة[٧]، فعطَّل ذلك الإذن خطة قريش التي رسمتها للتخلص من النبي الكريم ﷺ، وعندها بدأت استعدادات الهجرة المباركة فتحولت خطة قريش إلى الملاحقة والبحث الدقيق عن الرسول ﷺ؛ فظهر الدور الاستخباراتي المرافق لهذه الهجرة المباركة، وهو ما تناولته كثير من مصادر السِّير والمغازي والحديث والتراجم في سَرْدٍ قصصي لروايات الهجرة المباركة، وهو ما اختاره الباحث لبيان هذا الدَّور وتفصيله ومناقشته وتحليل محتواه.

والحقيقة أن ظاهر موضوع الهجرة النبوية، كالتخطيط والإعداد لها، هو موضوع تناوله كثير من الباحثين على هامش الحديث عن الهجرة بشكل عام، بل إن بعضهم قد سبق وفتح الباب نحو هذا الموضوع، ولكنه لم يجمع الرِّوايات ويحلل الأدوار، ولهذا فإن الباحث لم يجد من يتطرَّق لهذا الدَّور بوضوح في دراسة مستقلة من خلال الدِّراسات السَّابقة التي تناولت الهجرة النَّبويَّة المباركة، فسعى تحديدًا إلى بيان الدَّور الاستخباراتيّ لحماية الرَّسول ﷺ بمكَّة خلال الهجرة المباركة من خلال مصادر التراث، وهو الدور

(٤) دار النَّدْوة: هي الدار التي أنشأها قصيّ بن كلاب لقومه قريش كمركز للحكم السياسي للمدينة وعموم المنطقة، وهي أول دارٍ بُنيت بمكة بعد أن كانت قريش لا تبني تعظيمًا للكعبة وإنما يسكنون الأعشاش، وكانت دار الندوة لا يدخلها إلا سادات القوم وأولو الرأي والشورى فيهم، وهؤلاء كانوا يمثلون عادة العشائر والقبائل المختلفة ويعرفون بـ "الملأ". انظر: الأزرقي: محمد بن عبد الله المكي، أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، تحقيق: رشدي الصالح ملحس، ط١، دار الأندلس للنشر، بيروت، د.ت، ٦٥/١.

(٥) ابن هشام، السيرة النبوية، ٤٨٣/١.

(٦) ورد في النص قبيلة، ولكن قريش ليست جمجة في العرب ليتفرع منها قبائل، وإنما هي بطون؛ لأن الأصل القبيلة ثم يتفرع منها بطون متفرقة، والجماجم سميت بهذا الاسم لأنه يتفرغ منها قبائل تكتفي بأسمائها دون الانتساب لأصلها، فتصبح كأنها جد قائم. وإلا فالأصح أن تكون قبيلة قريش (عمارة) ومضر (قبيلة) وعدنان (شعبة)، ثم يتفرع من العمارة بطون كقصي بن كلاب، ثم (فخذ) كبنو هاشم ثم (فصيلة) كبني العباس. انظر: أحمد بن محمد ابن عبد ربه، العقد الفريد، تحقيق محمد عبد القادر شاهين، ط١، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م، ٢٧٢/٣.

(٧) ابن هشام: السيرة النبوية، ٤٨٢/١.

الذي تمثل في شخصيات محددة ومعدودة ومعروفة، ثم مناقشة الرِّوايات التي تناولت هذا الدَّور بالنَّقد والتَّحليل.

وفي ما يتعلّق بحدود الدِّراسة؛ فقد اشتملت على الحقبة الزَّمنية لهذا الدَّور والتي تمثلتْ في العام الثَّالث عشر من البعثة المباركة على صاحبها أتم الصَّلاة وأزكى التَّسليم.

وقد وقف الباحث من خلال البحث في مصادر المعلومات على بعض الدِّراسات السَّابقة التي تناولت هذ الموضوع من جوانب أخرى، ولم تتناوله بطريقة شاملة تتقصّى جميع جوانب العمل الإستخباراتي المرافق للهجرة النبوية وتُغطّي كامل تفاصيله، ولعلّ من هذه الدراسات:

١- إبراهيم علي محمد: "**قراءة في جوانب الحذر والحماية في السيرة النَّبويَّة**"، ط١، وزارة الأوقاف القطرية، الدوحة، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م: تناول جوانب الحذر في الهجرة المباركة، ص١٢٩-١٥٥، وسلَّط الضَّوء على الحذر باختيار الوقت المناسب، وإيصال المعلومة لبيت الصديق، والتخفي عن الأنظار، واختيار الدليل المناسب، وكتم خبر الهجرة، فيما علق على دور بيت الصِّديق، ص١٤٧-١٤٨، ثم عدَّد الأدوار الموكلة إليهم في سبعة أسطر، ولم يحدد تفاصيلها، كما تناول دور عبد الله بن أبي بكر في ص١٥٢، ووسم دوره بالتجسُّس. وقد حملتْ المعلومات التي ذكرها مُغالطات سيتم توضيحها في جوانب هذا البحث. وما يجدر ذكره أن الدِّراسة اختلفتْ عن مقصود الباحث في الفكرة والمباحث.

٢- كرم حلمي فرحات: "**تاريخ المخابرات الإسلامية عبر العصور**"، ط١، مكتبة الإمام البخاري، القاهرة، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م: تناول المؤلف جوانب الاستخبارات خلال الهجرة وعبقرية التخطيط والتضليل واختيار الوقت المناسب بشكل سردي مختصر، ولكنه لم يتناول جوانب الدِّراسة التفصيلية.

٣- عبد الوهاب جان أزهار: "**الاستخبارات في العهد المكِّي دراسة تحليلية**"، مجلة العلوم الإسلامية والدينية، مجلد ٤، ع١، يناير/ يونيو ٢٠١٩، ص٣٥-٥٥: تناول هذا المقال الدَّور الاستخباراتيّ من خلال مجريات الدعوة الاسلامية والنواحي الشرعية لحكم

التجسُّس، وبداية العمل الاستخباراتيّ من خلال التربية النَّبويَّة لتعزيز الحس الأمني بمكَّة للدفاع عن الدعوة، ثم تناول دور دار الأرقم في العمل الاستخباراتيّ، واعتبر الهجرة إلى الحبشة حماية للشخصيات الكبيرة من بطش قريش، كما تناول الدَّور الاستخباراتيّ في بيعة العقبة، وقد توقف البحث عند هذه الفترة. وهذه الدراسة هي دراسة تحليلية اعتمدت على بناء عنصر السرية في العمل، ولكنها تجاهلت الدَّور الاستخباراتيّ في الهجرة المباركة.

٤- محمد لهوير: "**أسرة أبي بكر الصديق ودورها في إنجاح الهجرة النبوية**"، مجلة التذكرة، المجلس العلمي الأعلى، ع١١-١٢، المغرب، ٢٠٠٨م، ص٢١٣-٢١٥: وهو مقال منشور لايزيد عن ثلاث صفحات، ناقش الباحث فيه مهمة أبي بكر وأسرته في الهجرة المباركة كسرد تاريخي، ولم يقدم تحليل مفصلي للحوادث التاريخية، ولا الدور الاستخباراتي في المهمات الشخصية، وهو ما تم من خلال هذه الدراسة التي تناولت جوانب وروايات مختلفة.

٥- بسام بن عبد العزيز الخراشي: "**أثر المرأة في الهجرة النبوية**"، كرسي عبد الله بن صالح الراشد الحميد لخدمة السّيرة والرسول ﷺ، جامعة القصيم، د.ط، د.ت: تناول هذا البحث موقف أسماء بنت أبي بكر وأم المؤمنين عاشة رضي الله عنهما كدور تاريخي وليس كمهمة استخباراتية قامت بها نساء مؤثرات في الهجرة النبوية، ولم يناقش محاور وجوانب الدراسة المقصودة.

٦- نوال بنت عمر بن عبد الله باسعد: "**التّخطيط النّبوي لحادثة الهجرة**"، دار الصميعي للنشر والتوزيع، الرياض، ط١، ١٤٣٩هـ/٢٠١٨م: وهي من أهم الدراسات التي تتقاطع مع هذه الدراسة، وقد تناولت جوانب التخطيط كمحاور أساسية في دراستها، غير أنها لم تتناول الجانب الاستخباراتي، فقد ذكرت في المبحث الثاني منها التخطيط النبوي ووضع التدابير أثناء حادثة الهجرة، ثم ناقشت في مطالب هذا التخطيط، فكان منها ما يتقاطع مع جوانب الدراسة مثل التخطيط للمخبأ، والتخطيط لآلية رصد الأخبار، وفريق الخدمة، وتحديد المهام (ص٢٧-٤٨)، وهي مقتطفات تناولت ما يهم الدراسة من ناحية التخطيط، ولم تناقش الروايات وما صح ولم يصح من خبرها ولا جوانبها الاستخباراتية، بل ناقشت

بدقة جودة التخطيط لرحلة الهجرة المباركة من الكتمان والتمويه والتموين، وهي جوانب لاشك تتقاطع مع هذه الدراسة ولكنها تختلف في التحليل والهدف.

وعلى كلّ حال؛ فجميع هذه البحوث العلمية الرصينة وغيرها من المؤلفات التي تناولت جوانب التخطيط في الهجرة المباركة لم تتعمق في الجانب الاستخباراتي، ولم تتناول جوانب الدِّراسة التفصيلية التي سعى الباحث – بإذن الله – من خلالها إلى تحليل بعض الروايات التي وردت في المصادر وبيان صحتها من عدمها.

وأما مشكلة البحث فتتلخص في هذه الدراسة في تساؤل مداره على ماهية الدَّور الاستخباراتيّ لحماية الرَّسول ﷺ بمكة؟ وما هي حدود كل فرد منهم تجاه هذه المهمة؟.

وكانت خطة الدراسة عبارة عن مُقدِّمة وتمهيد وثلاثة مباحث وخاتمة: فأما المقدمة فقد عرَّفتُ فيها بأهمِّية الموضوع وخطَّة الدِّراسة. وأما التَّمهيد فتناول بالتعريف المفاهيم والشَّخصيَّات التي مثَّلت هذا الدَّور الاستخباراتيّ. وأما المبحث الأوَّل فتناول دور عليّ بن أبي طالب ﷺ الاستخباراتيّ للحماية في الهجرة المباركة، في حين تطرق المبحث الثَّاني إلى بيان دور عبد الله بن أبي بكر الصديق ﷺ الاستخباراتيّ تجاه تلك الحماية، وأما المبحث الثَّالث فأشار إلى دور أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها الاستخباراتيّ في تلك المهمّة، وتناول المبحث الرَّابع والأخير دور عامر بن فهيرة ﷺ الاستخباراتيّ في تلك المهمّة المباركة. وقد عالجت هذه المباحث جميع تساؤلات البحث الذي خُتم بخاتمة حصرتْ أهم النتائج والتوصيات التي أمكن الوصول إليها.

التَّمهيد:

تُشير قواميس اللغة إلى معنى الاستخبار من مصدر استخبر، بمعنى استَخْبَرَهُ وسأله عن الخَبَرِ[٨]، ومنه تَخَبَّرتُ الخبر واستَخْبَرتهُ، أي طلب أن يُخبره[٩]، وينبثق عن الاستخبار فاعله، وهو المستَخْبِر؛ وهو العين أو من يجس الخبر، ومنه التّجسس[١٠]. وفي الاصطلاح: "الاستخبارات هي مجموعة الأجهزة والتشكيلات والوسائل المستخدمة لجمع المعلومات السياسية والنفسية والاقتصادية والعسكرية الخاصة بالعدو وتحليلها، والعاملة – في الوقت نفسه – على مكافحة عمليات التّجسس والتّخريب المعادية"[١١]. ومن خلال التعريف اللغوي والاصطلاحي، يتّضح لنا أن جمع المعلومات عن العدو مهما كانت ظروف وأدوات ووسائل العمل، وكذلك إخفاء المعلومة بكل وسيلة لكي لا تصل إلى العدو، تُعدّ عملية استخباراتية مهما كان دورها في الكثرة والقلة.

وأما في هذه الدراسة، فإن الشَّخصيَّات التي قامت بهذا الدَّور عددها قليل ومعروف بسبب ما واجهته الدعوة من محاربة وتصدّي من طرف الأعداء، وقد بدتْ أهمية الأدوار المناطة بها محددّة ومرتكزة على حدود مبينة لكل شخصية من الشخصيات التي قامت بهذا العمل الاستخباراتي، وهذه تراجم لهذه الشخصيات من خلال ما ورد في كُتب تراجم الصحابة، وهذه التراجم تمهيد لدراسة أدوارها الاستخباراتيّة، وهم على النحو التالي:

١- علي بن أبي طالب ﷺ: هو أبو الحسن عليّ بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كِلاب، ابن عمّ النبي ﷺ وصهره، فهو زوج ابنته فاطمة رضي الله عنها سيدة نساء العالمين، وهو رابع الخلفاء الراشدين، وأحد العشرة المبشرين بالجنة. والدته هي فاطمة بنت أسد بن عبد مناف من بني هاشم، بنت عمّ أبي طالب[١٢].

---

(٨) ابن منظور: لسان العرب، ٢٢٧/٤.

(٩) الزبيدي: محمد مرتضى، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: عبد المنعم خليل وكريم سيد محمد، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م، ٣٢٨/٦.

(١٠) ابن منظور: لسان العرب، ٣٨/٦.

(١١) كرم حلمي فرحات: تاريخ المخابرات الإسلامية عبر العصور، ط١، مكتبة البخاري، القاهرة، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م، ١٤.

(١٢) ابن سعد: محمد بن منيع الزهري، الطبقات الكبرى، تحقيق: علي محمد عمر، ط١، الشركة الدولية للطباعة، القاهرة، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م، ٤١٧/٣؛ ابن عبد البر: أبو عمر يوسف النمري، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ط١، دار الجيل، بيروت، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م، ٨٧٤/٣؛ ابن الأثير: أبو الحسن علي بن محمد الجزري، أسد الغابة في معرفة الصَّحابة، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م، ٥٨٧/٣؛ ابن حجر: أحمد بن علي العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٣، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م، ٤٦٤/٤.

ولد قبل البعثة بعشر سنين، وعاش في حجر النبي ﷺ ولم يفارقه حتى هجرته ﷺ[١٣]، ولذلك نجد الكثير من الأثر لشخصية رسول الله ﷺ في بناء وتكوين شخصية عليّ ﷺ. وقد ثبت أنه أول الناس إسلامًا بعد أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها[١٤]، ولكن تعددت الأقوال في عمره رضي الله عنه حين أسلم، فقيل أنه أسلم حين بلغ من العُمر ثماني سنواتٍ كما نُقِل عن عُروة، وقِيل بل بلغ من العُمر أربع عشرة سنةً، وقيل بل كان ابن تسع سنوات[١٥].

وقد لحق عليّ ﷺ برسول الله ﷺ بعد هجرة ﷺ إليها بثلاث ليالٍ؛ لأن الرَّسول ﷺ كلّفه البقاء لأداء الأمانات التي كانت عنده ﷺ لأهل مكة[١٦]، كما شارك ﷺ في جميع الغزوات، ولم يتخلّف إلّا في غزوة تبوك لأن النبيّ ﷺ استخلفه على أهله بيته ﷺ[١٧].

وممّا اشتهر به علي ﷺ هو شجاعته وفروسيته وإقدامه ﷺ حتى قال فيه أُسيد بن أبي إياس بن زُنَيْم قبل إسلامه يحرض قريش عليه لما صنع بهم من قتل يوم بدر الكبرى، ويُعيّرهم به:

لله درُّكُمُ أَلِمَا تُنْكِرُوا ... قَدْ يُنْكِرُ الحيُّ الكريمُ ويَسْتَحي
ها ابْنُ فَاطِمَةَ الذي أَفْناكُمُ ... ذَبْحًا، وقِتْلَةَ قِعْصَةَ[١٨] لَم تُذْبَح
أَعْطُوه خُرْجًا واتّقُوا بضَرِيبة ... فِعْل الذَّلِيلِ وبَيْعَةٍ لم تَرْبَح
أيْنَ الكُهولُ وأَيْنَ كُلُّ دُعَامَةٍ ... في المُعْضِلاتِ وأَيْنَ زَيْنُ الأبْطَح
أَفْنَاهُم قَعْصًا وضَرْبًا يَفْري ... بالسَّيْفِ يَعْمَل حَدَّه لم يُصْفَحِ[١٩]

وكان اللواء بيده في أكثر المشاهد التي حضرها مع رسول الله ﷺ[٢٠]، وكان بالإضافة إلى شجاعته ذا فضل وعلم، فقد كان يقول ﷺ: "سلوني سلوني وسلوني عن

---

(١٣) ابن حجر: الإصابة، ٤/ ٤٦٤.
(١٤) ابن الأثير: أسد الغابة، ٥٨٨/٣؛ ابن حجر: الإصابة، ٤٦٤/٤.
(١٥) ابن سعد الطبقات، ١٩/٣-٢٠؛ ابن الأثير: أسد الغابة، ٣/ ٥٨٨-٥٨٧.
(١٦) ابن سعد: الطبقات، ٢٠/٣؛ ابن الأثير: أسد الغابة، ٥٩١/٣.
(١٧) ابن سعد: الطبقات، ٢١/٣-٢٢؛ ابن الأثير: أسد الغابة، ٣/ ٥٨٧؛ ابن حجر: الإصابة، ٤٦٤/٤.
(١٨) القَعْصُ: القَتْل المُعَجِّل، ومنه إذا أصابته ضَرْبَة أو رَمْية فمات مكانه، ويُقصد منه القتل السريع. ابن منظور: لسان العرب، ٨/ ٣٤٦؛ الزبيدي: تاج العروس، ١١٠/١٨.
(١٩) ابن الأثير: أسد الغابة، ٥٩٤/٣ والنص له؛ ابن حجر: الإصابة، ٤٦٥/٤.
(٢٠)ابن سعد: الطبقات، ٢٠/٣؛ ابن حجر: الإصابة، ٤٦٤/٤.

كتاب الله تعالى، فوالله ما من آيةٍ إلاّ وأنَا أعلم أُنزلت بليل أو نهار"[٢١]، وقيل: "ولم يُنقل لأحدٍ من الصحابة رضوان الله عليهم ما نُقل لعلي ﷺ"[٢٢].

وقد كلفه رسول الله ﷺ العديد من المهام في حياته ﷺ منها: قيادة سرية إلى فدك[٢٣]، ثم قائدًا لسرية هدم الفلس[٢٤] صنم قبيلة طي[٢٥]، ثم بعثه ﷺ قاضيًا ومصدقًا (تُدفع إليه الصدقات) ناحية اليمن، كما بعثه في سرية إلى بلاد مذحج من اليمن فقاتلهم وغنم ثم أسلموا بعد ذلك[٢٦]، وذكرت بعض المصادر اختياره مصدقًا على نجران[٢٧].

بُويع ﷺ بالخلافة في أوائل السنة الخامسة والثلاثين للهجرة؛ حيث أجمع المسلمون – مهاجرين وأنصارًا – على اختياره خليفةً للمسلمين لفضله ومكانته[٢٨]. وبعد خمس سنوات من الحُكم، استُشهِد على يد أحد الخوارج وهو عبد الرحمن بن مُلجَم المرادي[٢٩]، وذلك في ليلة الجمعة لسبع عشرة ليلةٍ مضت من رمضان – وقيل لإحدى عشرة – من السنة الأربعين للهجرة[٣٠]، وكان عُمره ثلاثًا وستّين سنةً، وقِيل بضعٌ وخمسون[٣١].

٢- عبد الله بن أبي بكر الصديق ﷺ: هو عبد الله بن عبد الله بن أبي قحافة – اسمه عثمان – بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مُرّة بن كعب بن لؤي

---

(٢١) ابن حجر: الإصابة، ٤٦٧/٤.

(٢٢) المصدر نفسه، ٤٦٤/٤.

(٢٣) ابن سعد: الطبقات، ١٥٤/٢-١٥٥. وفَدَك: ذكر البكري: بينها وبين خيبر يومان، وأكثر أهلها أشجع. وقال عاتق البلادي: تُسمى اليوم الحائط وسكانها بنو رشيد. البكري: أبو عبيد الله عبد الله بن عبد العزيز الأندلسي، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، تحقيق: جمال طلبة، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٨هـ/١٩٩٨م، ٢٦٨/٣؛ عاتق غيث البلادي: معجم معالم الحجاز، ط١، دار مكة، مكة المكرمة، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م، ١٣٠٦/٧.

(٢٤) الفلس: هو صنم طيء، وكان أنفًا أحمر وسط جبلهم الذي يُقال له أجا، أسود اللون كأنه تمثال إنسان يعبدونه ويهدون له، وكان سدنته بني بولان، وهو عُصَين بن عمرو بن الغوث بن طيءّ، وهم أول من عبده ثم أبناؤهم، ومنه أخذ علي بن أبي طالب سيفين أهداهما له الحارث بن أبي شمر الغساني؛ أحدهما مخدم، والآخر رسوب. الكلبي: أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب، كتاب الأصنام، تحقيق: أحمد زكي، د.ط، الدار القومية، القاهرة، ١٤٤٣هـ/ ١٩٢٤م، ص٥٩-٦٠.

(٢٥) وهم نحو مائة وخمسين رجلًا من الأنصار، على مئة بعير وخمسين فرسًا، وذلك في ربيع الثاني من العام التاسع الهجري. ابن سعد، الطبقات، ١٦٤/٢.

(٢٦) ابن سعد: الطبقات، ١٥٤/٢-١٥٥.

(٢٧) ابن هشام، السيرة، ٦٠٠/٢؛ الواقدي: محمد بن عمر، المغازي، تحقيق: ماردسن جونس، ج١-٣، د.ط، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٤هـ/١٣٨٤م، ١٠٨٥/٣؛ اليعقوبي: أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر، تاريخه، تحقيق: عبد الأمير مهنا، ط١، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م، ٣٩٧/١.

(٢٨) ابن سعد: الطبقات، ٢٩/٣-٣٠؛ ابن الأثير: أسد الغابة، ٣/ ٦٠٨؛ ابن حجر: الإصابة، ٤٦٤/٤.

(٢٩) ابن الأثير: أسد الغابة، ٦٠٨/٣؛ ابن حجر: الإصابة، ٤٦٥/٤.

(٣٠) ابن سعد: الطبقات، ٣٥/٣-٣٦؛ ابن الأثير: أسد الغابة، ٦١٢/٣؛ ابن حجر: الإصابة، ٤٦٨/٤.

(٣١) ابن سعد: الطبقات، ٣٦/٣؛ ابن الأثير: أسد الغابة، ٦١٨/٣، ٤٦٨.

القرشي[٣٢]، وأُمَهُ قتيله بنت عبد العزى بن أسعد بن جابر بن مالك من بني عامر بن لؤي[٣٣]، تزوجها أبو بكر الصديق ﷺ وطلقها في الجاهلية، وله منها أسماء وعبد الله[٣٤].

وكان إسلام عبد الله – كما ذكرت كتب المصادر – قديمًا، ولكنها لم تحدّد له فترة محددة بزمن، ولا ريب أن عبد الله بن أبي بكر الصديق ﷺ كان في رعاية أبيه الذي كان قريبًا منه، بدليل أن حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ما يوحي بملازمة أبي بكر بيته الذي يسكن فيه عبد الله وأسماء وأم المؤمنين عائشة وأمها أم رومان ﷺ أجمعين، ونصّ الحديث: "لم يمرَّ علينا يوم إلا يأتينا فيه رسول الله ﷺ طرفي النهار : بكرة وعشية ..."[٣٥]، فكانت هذه الملازمة دليلًا على قربه من أبيه، ولهذا فإن فترة إسلامه ﷺ كانت موافقة لمرحلة إسلام أبيه وإسلام أخته أسماء التي ذكر أبو نعيم أنها أسلمت بعد سبعة عشر إنساناً[٣٦]، وعلى ذلك فهو من الرعيل الأول الذين لهم السبق في الإسلام، بل ولا شك أنه كان من رواد دار الأرقم[٣٧] التي كانت مدرسة لتلاوة القرآن وفهم معانيه وحفظه.

وعليه؛ فقد كان عبد الله ملازمًا لوالده الصديق ﷺ ومُقربًا إليه لما وجد فيه من النباهة والعقل، وهذا بالرغم من حداثة سنّه، وهو ما يمكن استخلاصه من نزوله لرغبة

---

(٣٢) انظر ترجمته في: ابن عبد البر: الاستيعاب، ٣/ ٨٧٤؛ ابن الأثير: أسد الغابة، ٣/ ١٨٨.

(٣٣) وهي مختلف في إسلامها، وهي التي قدمت على ابنتها أسماء رضي الله عنها في المدينة خلال فترة هدنة الحديبية وجلبت معها الهدايا - ضباب وإقط وسمن - فرفضت أسماء رضي الله عنها استقبالها حتى أذن لها رسول الله ﷺ، ورد ذلك فيما ذكره المفسرون في تفسير قوله تعالى "لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلونكم في الدين" [الممتحنة: ٨]. الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل القرآن، تحقيق: محمود شاكر، ط١، دار الأعلام ودار ابن حزم، عَمان، ١٤٢٣ه/٢٠٠٣م، ٨١/١٤؛ ابن كثير: عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: أبو عمر وناصر الدمياطي، دار العقيدة، ط١، الإسكندرية، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م، ٤٢٦/٤.

(٣٤) ابن عبد البر: الاستيعاب، ٨٧٤/٣؛ ابن الأثير: أسد الغابة، ١٨٨/٣؛ ابن حجر: الإصابة، ٢٤/٤-٢٥.

(٣٥) البخاري: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، تحقيق: قاسم الشماعي الرفاعي، ط١، دار الأرقم، بيروت، ١٤١١هـ/١٩٩٠م، ١٤٠/٥؛ ابن حجر العسقلاني: فتح الباري بشرح صحيح البخاري، تحقيق: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، ط١، دار الفكر، بيروت، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م، ٢٧١/٧.

(٣٦) أبو نعيم: أحمد بن عبد الله الأصبهاني، معرفة الصحابة، تحقيق: محمد راضي حاج، ط١، مكتبة الدار، المدينة المنورة، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، ٣٢٥٣/١.

(٣٧) دار الأرقم: أو المختبأ؛ وهي دارٌ للأرقم بن أبي الأرقم القرشي ﷺ التي عند جبل الصفا، وكان النبيّ ﷺ وصحابته الكرام يختبئون فيها عندما كانت الدعوة الإسلامية في مرحلتها السرية. ناصر بن عليّ الحارثي: "دار الأرقم بن أبي الأرقم المخزومي بمكة المكرمة؛ دراسة تاريخية حضارية"، مجلة الدارة، السنة ٣١، العدد ٣، رجب ١٤٢٦هـ، دارة الملك عبد العزيز، الرياض، ٤٢.

والده في طلاق زوجته عاتكة بنت زيد[٣٨]. وأما حياته ﷺ فقد شحّت المصادر والتراجم في تناول تفصيلاتها لا قبل إسلامه ولا بعده، سوى بعض شذرات من معلومات عن دوره في الهجرة المباركة[٣٩].

ولم تُشر المصادر إلى مشاركة عبد الله ﷺ في مشاهد النبي ﷺ بعد الهجرة المباركة، ولا عن تفاصيل حياته بعد الهجرة ما عدا بعض النصوص التي تتعلق بزواجه من عاتكة بنت زيد، وكان قد أحبها حبًّا شديدًا وفُتن بها حتى غلبت عليه نفسه، فأمره أبوه الصديق ﷺ بطلاقها[٤٠]، ثم رقّ له بعد ذلك وأمره أن يراجعها عندما سمعه يقول:

أَعاتِكَ لا أنْسَـــــاكِ ما ذَرَّ شَارِقٌ ... وَمَا نَاحَ قُـــمْرِيُ الْـحمَامِ الـمُطَوَّقُ
أَعاتِـك قَـلْبِي كلَّ يَـوْمٍ ولَـيْلَـــةٍ ... إلَيْكِ بِمَا تُخْـفِي النُّـفُـوسُ مُـعَـلّـقُ
وَلَمْ أَرَ مِثْلِي طَلَّـقَ الْيَـــوْمَ مِثْلَهَا ... وَلا مِثْلَهَـا فِي غَـيْرِ جُـرْمٍ تُطَـلَّـقُ
لَهَا خُلُـقٌ جَـزْلٌ ورَأْيٌ ومَنـصِبٌ ... وخَـلْقٌ سَـوِيٌ في الْحَيَـاءِ ومَصْـدَقُ[٤١]

وتذكر المصادر أن عبد الله ﷺ قد شارك في غزوة الفتح وغزوة حُنين وغزوة الطائف[٤٢]، كما ذكرت المصادر مشاركته في غزوة الطائف مع المهاجمين لحصن الطائف في يوم الشَّدْخَة[٤٣]، حيث دخل مع مجموعة من المسلمين تحت دبابة[٤٤] لخرق

---

(٣٨) هي عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل العدوية القرشية. صحابية جليلة، هي أخت الصحابي الجليل سعيد بن زيد وابنة عم الصحابي الجليل عمر بن الخطاب. عُرفت بالبلاغة وفصاحة القول. أسلمت وهاجرت وكانت من حسان النساء وعبادهن، وتزوجها بعد عبد الله بن أبي بكر ﷺ الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ وقُتل عنها، ثم تزوجها الزبير بن العوام ﷺ وقُتل عنها، حتى قالت: "لا أتزوج بعد ذلك، إني لأحسبني لو تزوجت جميع أهل الأرض لقتلوا عن آخرهم". ماتت في أول خلافة معاوية في السنة ٤١ هجرية. انظر ترجمتها في: ابن الأثير: أسد، ٦/ ١٨٧-١٨٨؛ ابن حجر: الإصابة، ٨/ ٢٢٧-٢٢٨.

(٣٩) ابن هشام، السيرة النبوية، ٤٨٢/١؛ ابن سعد: الطبقات، ١٧٧/١؛ ابن عبد البر: الاستيعاب، ٨٧٤/٣؛ ابن الأثير: أسد الغابة، ١٨٨/٣؛ ابن حجر، الإصابة، ٢٥/٤.

(٤٠) ابن الأثير: أسد الغابة، ١٨٨/٣.

(٤١) ابن الأثير: أسد الغابة، ١٨٧/٦-١٨٨؛ ابن حجر: الإصابة، ٢٢٧/٨-٢٢٨.

(٤٢) ابن سعد، الطبقات، ١٧٧/١؛ ابن الأثير: أسد الغابة، ١٨٧/٦-١٨٨؛ ابن حجر: الإصابة، ٢٢٧/٨-٢٢٨.

(٤٣) الشَّدْخُ: الكسرُ في كل شيء رَطْب؛ وقيل: هو النَّهْشِيم يعني بكَسْرَ اليابس وكلِّ أجوفَ؛ شَدَخَه يَشْدَخُه شَدْخًا، وهو كناية عن كثرة القتل والإصابة في ذلك اليوم، ومنه أيضًا تشدَّخَ البناءُ:أي تصدّع وتشقق. ابن منظور: لسان العرب، ٨٣/٣.

(٤٤) الدَّبَّابة: آلة تتخذ قديمًا للحرب وهدم الحصون، ويحتمي في جوفها الجنود ليتم دفعها باتجاه أصل الحصن لنقبه أو هدمه، وهي في الأصل من الجلود والخشب، يحتمي بها المهاجمون مما يُرمى به من الحصن المُحاصر. ابن منظور: لسان العرب، ٣٧١/١؛ علي بن محمد بن موسى الخزاعي: تخريج الدلالات السمعية على ما كان في عهد رسول الله ﷺ من الحرف والصنائع والعمالات الشرعية، تحقيق: إحسان عباس، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، ٢٩٥.

الحصن، فرمتهم ثقيف بسكك الحديد[٤٥] المحماة بالنار، فخرجوا من تحتها فرمتهم بالنبل، فقُتل منهم وأصيب[٤٦]، وكان ممّن أُصيب عبد الله ﷺ، فقيل رماه أبو محجن الثقفي[٤٧]، وقيل سعيد بن عبيد أخو بني العجلان[٤٨]، وقد مات عبد الله ﷺ في خلافة والده ﷺ بعد وفاة رسول الله ﷺ بأربعين ليلةً، وذلك في العام الحادي عشر من الهجرة المباركة[٤٩]، على صاحبها أجلّ الصلوات والتّسليم.

٣- أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنها: هي أسماء بنت أبي بكر الصديق القرشية التيمية، وهي الأخت الكبرى الشقيقة لعبد الله بن أبي بكر الصديق ﷺ[٥٠]، وأمها قتيلة بنت عبد العزى سابقة الذكر[٥١]، وزوجها الزبير بن العوام ﷺ، تزوجها قبل الهجرة. وقد سماها رسول الله ﷺ ذات النطاقين[٥٢]. وهي أسن من أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر ﷺ وأختها لأبيها[٥٣]. وذكر أبو نعيم أنها وُلدت قبل التاريخ الهجري بسبع وعشرين

(٤٥) سِكَكُ الحديد: السّك في اللغة هو تضبيب الباب والخشب بالحديد، والسّكي هو المسمار، وقيل الحداد، والسِّكَّةُ هي الحديدة التي تحرث بها الأرض. وعلى ذلك فسكك الحديد جزء من الحديد غير معلوم الشكل تم إشعال النار عليه حتى يلتهب ثم يُقذف على المحاصرين. ابن منظور: لسان العرب، ٣٢٥/١٢؛ السهيلي: عبد الرحمن بن عبد الله الخثعمي، الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام، علق عليه: مجدي بن منصور الشوري، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت د.ت، ٢٥٠/٤؛ الخزاعي: تخريج الدلالات السمعية، ٢٩٥.

(٤٦) ابن هشام، السيرة النبوية، ٤٨٣/٢؛ ابن سعد، الطبقات، ١٤٥/٢-١٤٦؛ الطبري: تاريخ الأمم، ١٧٢/٢.

(٤٧) هو أبُو مِحْجَن عمرو بن حبيب الثّقفي، وقيل اسمه مالك، وقيل عبد الله. كان أحد الأبطال الشعراء الكرماء في الجاهلية والإسلام، وكان فارسًا حارب المسلمين في غزوة ثقيف، وأسلم بعدها، وشارك في القادسية مع المسلمين، وقيل مات بأذربيجان، وقيل بجرجان. انظر ترجمته في: ابن الأثير: أسد الغابة، ٢٧٨/٥-٢٨٠؛ ابن حجر: الإصابة، ٢٩٩/٧-٣٠٢.

(٤٨) البيهقي: أبي بكر أحمد بن الحسين، السنن الكبرى، ط٣، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، ١٦٧/٩.

(٤٩) ابن عبد البر: الاستيعاب، ٣/ ٨٧٤؛ ابن الأثير: أسد الغابة، ٣/ ١٨٨؛ ابن حجر، الإصابة، ٢٥/٤.

(٥٠) ابن سعد: الطبقات، ٢٤٩/٨؛ ابن عبد البر: الاستيعاب، ٣٤٤/٤؛ ابن الأثير: أسد الغابة، ٩/٦-١٠؛ ابن حجر: الإصابة، ١٣/٨-١٤.

(٥١) ابن سعد: الطبقات، ٢٤٩/٨؛ ابن عبد البر: الاستيعاب، ٣٤٤/٤؛ ابن الأثير: أسد الغابة، ٩/٦-١٠؛ ابن حجر: الإصابة، ١٣/٨-١٤.

(٥٢) الزبير بن بكار: القرشي الزبيري، جمهرة نسب قريش وأخبارها، تحقيق: عباس هاني الجراخ، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٣٠هـ/٢٠١٠م، ١/ ٣٧٥.

(٥٣) ابن عبد البر: الاستيعاب، ٣٤٤/٤؛ ابن الأثير: أسد الغابة، ٩/٦-١٠؛ ابن حجر: الإصابة، ١٣/٨-١٤.

سنة، وقبل المبعث بعشر سنين، وأسلمت بعد سبعة عشر إنساناً، وهاجرت إلى المدينة وهي حُبلى بابنها عبد الله بن الزبير ثم وضعته بقباء(٥٤).

وقد اتّصفت رضي الله عنها بالسخاء؛ فعن عبد الله بن الزُّبَير رضي الله عنهما قال: "ما رأيتُ امرأتَيْن قطُّ أجودَ من عائشة وأسماء، وجُودهما مختلف: أمَّا عائشة فكانتْ تَجْمَع الشيء حتى إذا اجتمع عِندَها قسَّمتْ، وأمَّا أسماء فكانتْ لا تُمسِك شيئًا لغدٍ"(٥٥). كما اتّصفت رضي الله عنها بالدِّين المتين والعقل الكبير والقلب الصبور(٥٦)، وتلك الصفات هيّأت لها القُدرة على تحمل الشدائد، وهو ما يمكن استخلاصه من موقفين اثنين لها: الأوَّل: عندما حاول أبو جهل(٥٧) استنطاقها عن خبر والدها ورسول الله ﷺ وإصرارها على الجهل به(٥٨)، والثَّاني: عندما قدم إليها ابنها عبد الله واستشارها بقبول الأمان من الحجّاج(٥٩)، وصبرها على مقتله رضي الله عنه(٦٠).

(٥٤) قباء: أصله اسم بئر، وكانت قرية على يسار الذاهب إلى مكة من المدينة، وهي اليوم جنوب غربي المدينة المنورة وتبعد عنها نحو ثلاثة كيلو مترات، وشيد اليوم فيما شاهد الباحث ممشى بين المسجد النبوي ومسجد قباء طوله ثلاثة كيلو مترات لتسهيل حركة الزوار بين المسجدين، وقد أقام بها المسلمون عند قدومهم المدينة خلال الهجرة حتى قدوم الرسول ﷺ ثم ابتنى بها رسول الله ﷺ مسجدًا وصلى فيه رسول الله ﷺ، ثم مكث بقباء الاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس، ثم ارتحل يوم الجمعة إلى المدينة المنورة، وفضائل قباء كثيرة في كتب الصحاح. ياقوت: ياقوت بن عبد الله الحموي، معجم البلدان، ط٨، بيروت، دار صادر، ٢٠١٠م، ١٢٤/٥، أبو نعيم: معرفة الصحابة، ٣٢٥٣/١؛ عاتق البلادي: معجم معالم الحجاز، ١٣٤٧/٧-١٣٤٨.

(٥٥) الذهبي: شمس الدين محمد بن أحمد الدمشقي، سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، ط٢، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م، ٢٩٢/٢.

(٥٦) ابن الأثير: أسد الغابة، ٩/٦-١٠.

(٥٧) هو أبو الحكم عمرو بن هشام بن المغيرة المخزومي القرشي المكي. كان من كبار سادة قريش، وقد سوّدته قريش وهو شاب أمرد وأدخلته دار الندوة مع الكهول. كنّاه رسول الله ﷺ أبا جهل فذهبت لقبًا فيه. كان من أشدّ الناس عداوة للنبيّ ﷺ بمكة عند بدء الدعوة، وكان يثير الناس عليه وعلى أصحابه، وكان من المقتسمين، وهم سبعة عشر رجلاً قرشيًا اقتسموا شعاب مكة ليصدّوا الناس عن رسول الله في المواسم. قُتل يوم بدر كافرًا وكان له من العُمر سبعون سنة. انظر ترجمته في: ابن سعد: الطبقات، ٤٤٤/٥؛ ابن عبد البرّ: الاستيعاب، ١٠٨٢/٣.

(٥٨) ابن هشام: السيرة النبوية، ٤٨٧/١؛ السهيلي: الروض الأنف، ٢٣٠/٢؛ الكلاعي: سليمان بن موسى، الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م، ٢٨٤/١.

(٥٩) هو أبو محمد الحجّاج بن يوسف بن الحكم الثقفي. ولد ونشأ في الطائف، وكان في بدايته معلّمًا للقرآن، ثم انتقل إلى الشام ، فعمل بالشرطة ، ثم ما زال يظهر حتى قلده الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان عسكره وأمره بقتال عبد الله بن الزبير، فحاصره بمكة وقتله بعد أن هدم جزءً من الكعبة. وُلي بعدها مكة والمدينة والطائف، ثم أضيف إليه العراق فأخمد ثورته، وظلّ على الإمارة عشرين سنة إلى وفاته سنة ٩٥ هجري. انظر ترجمته في: ابن خلكان: أحمد بن محمد الأربيلي، وفيات الأعيان وإنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، د.ط، دار صادر، بيروت، ١٩٧٢م، ١٢٣/١؛ ابن الأثير: عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم، الكامل في التاريخ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، ط١، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م، ٢٢٢/٤.

(٦٠) البلاذري: أحمد بن يحيى بن جابر، أنساب الأشراف، تحقيق: محمد حميد الله، د.ط، معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية ودار المعارف، القاهرة، د.ت، ١٠/١؛ ابن الأثير: أسد الغابة، ٩/٦-١٠.

لها من الولد عبد الله[٦١] وعروة[٦٢] والمنذر[٦٣] أبناء الزبير بن العوام[٦٤]، وكان الزبير قد طلقها فعاشت عند ابنها عبد الله بن الزبير ﷺ[٦٥]، وكانت قد شهدت معركة اليرموك مع زوجها الزبير وابنها عبد الله – رضي الله عنهما – وأبلتْ بلاءً حسنًا[٦٦]. وقد أطال الله في عُمرها فعاشتْ حتى بلغت مئة عام ولم يسقط لها سنّ، ولم يُنكر لها عقل[٦٧]، قال ابن الأثير: قد طال عمرها وعميتْ وبقيت إلى أن قُتِل ابنها عبد الله ﷺ سنة ثلاث وسبعين، وعاشت بعده عشرة أيام، وقيل عشرون، وقيل بضع وعشرون[٦٨].

٤– عامر بن فهيرة ﷺ: هو عامر بن فهيرة التيمي مولاهم، مولى أبي الصديق ﷺ[٦٩]. كان عامر مُولَّدًا من الأزد، أسود اللون[٧٠]، وكان مملوكًا للطفيل بن عبد الله بن سَخْبَرة[٧١]، أخي أم المؤمنين عائشة لأمها أم رومان رضي الله عنهما[٧٢]، وكان أبو بكر

---

(٦١) هو أبو بكر وأبو خبيب عبد الله بن الزبير بن العوام بن خويلد القرشي الأسدي. الصحابي ابن الصحابي، وابن عمة رسول الله ﷺ وأول مولود فى الإسلام من المهاجرين بالمدينة. شهد فتح إفريقية زمن عثمان ﷺ وبويع له بالخلافة سنة ٦٤هجري عقب موت يزيد بن معاوية فحكم مصر والحجاز واليمن وخراسان والعراق وأكثر الشام وجعل قاعدته المدينة المنورة.كانت له مع الأمويين وقائع كبيرة حتى سيروا إليه الحجاج بن يوسف الثقفي فنشبت بينهما حروب لأشهر انتهت بمقتل عبد الله بمكة في ذي الحجة سنة ٧٣هجري، وكانت مدة خلافته تسع سنين. انظر ترجمته في: ابن عبد البرّ: الاستيعاب، ٩٠٥/٣؛ ابن حجر: الإصابة، ٨٩/٤.

(٦٢) هو أبو عبد الله عروة بن الزبير بن العوام بن خويلد القرشي الأسدي. أحد الفقهاء السبعة بالمدينة وأول من صنّف المغازي. ولد بالمدينة ثم انتقل إلى البصرة ثم إلى مصر فتزوج وأقام بها سبع سنين ثم عاد إلى المدينة فتوفي فيها. تفقه بخالته عائشة رضي الله عنها. كان حافظًا ثبتًا، عالمًا بالسيرة، صالحًا كريمًا، لم يدخل في شيء من الفتن. قال الزهري: رأيته بحرًا لا ينزف. توفي بالمدينة سنة ٩٩هجري وعمره فوق السبعين سنة. انظر ترجمته في: ابن سعد: الطبقات، ١٧٨/٥؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان، ٣١٦/١.

(٦٣) هو المنذر بن الزبير بن العوام بن خويلد القرشي الأسدي. وُلد في خلافة عمر بن الخطاب ﷺ. وفد على معاوية بن أبي سفيان ﷺ فأجازه بمائة ألف وأقطعه أرضًا، فمات معاوية قبل أن يقبض المال. غزا القسطنطينية مع يزيد، ثم انضمّ إلى اخيه عبد الله بمكة لما اختلف عبد الله مع يزيد، ثم قُتل بمكة سنة ٦٤هجري لما حاصر الأمويون البلد الأمين. انظر ترجمته في: ابن كثير: عماد الدين أبو الفداء إسماعيل، البداية والنهاية، مكتبة المعارف، بيروت، ١٤١٢هـ/١٩٩١م، ٢٧٠/٨؛ الزركلي: خير الدين محمود، الأعلام؛ قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، دار العلم للملايين، بيروت، ١٤٠١هـ/١٩٨٠م، ٢٩٣/٧.

(٦٤) وهناك من ذكر غيرهم. ابن عبد البر: الاستيعاب، ٣٤٤/٤.

(٦٥) ابن الأثير: أسد الغابة، ٩/٦-١٠.

(٦٦) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ٢٨٨/٢.

(٦٧) ابن عبد البر: الاستيعاب، ٣٤٤/٤؛ ابن الأثير: أسد الغابة، ٩/٦-١٠؛ ابن حجر: الإصابة، ٨/ ١٣-١٤.

(٦٨) ابن الأثير: أسد الغابة، ٣١/٣.

(٦٩) ابن الأثير: أسد الغابة، ٣١/٣؛ ابن حجر: الإصابة، ٤٨٢/٣.

(٧٠) ابن الأثير: أسد الغابة، ٣١/٣.

(٧١) هو الطفيل بن عبد الله بن الحارث بن سخبرة القرشي. ليس من قريش وإنما هو من الأزد. قال الواقدي: كانت أم رومان تحت عبد الله بن الحارث بن سخبرة بن جرثومة الخير بن عادية الأزدي، وكان قدم بها مكة فحالف أبا بكر قبل الإسلام، وتوفي عن أم رومان وقد ولدت له الطفيل، ثم خلف عليها أبو بكر فولدت له عبد الرحمن وعائشة، فهما أخو الطفيل هذا لأمه، ولم يُعرف له تاريخ وفاة. انظر ترجمته في: ابن الأثير: أسد الغابة، ٣١/٣؛ ابن حجر: الإصابة، ٤٨٢/٣.

(٧٢) ابن الأثير: أسد الغابة، ٣١/٣.

ﷺ قد اشترى عامر بن فهيرة ﷺ وأعتقه[٧٣] وأوكل إليه منائح يرعاها[٧٤]، فكان من السابقين الأولين، إذ أنه أسلم قبل دخول دار الأرقم[٧٥] الشهيرة، وكان من المستضعفين بمكة[٧٦]، وهو ممن عُذّب في الإسلام فصبر[٧٧].

هاجر عامر ﷺ مع النبيّ ﷺ إلى المدينة المنورة[٧٨]، حيث أردفه أبو بكر ﷺ على الناقة خلفه[٧٩]، وفي طريق الهجرة دلّتْ الدلائل على أن عامرًا ﷺ كان ممّن يُجيد الكتابة، ففي رواية سُراقة بن مالك[٨٠] الذي لاحق رسول الله ﷺ وصاحبه ﷺ خلال الهجرة إلى المدينة المنورة، فأمر رسول الله ﷺ عامرًا ﷺ أن يكتب لسراقة في رقعة من أديم[٨١] فكتب له[٨٢]. وعندما وصل عامر ﷺ المدينة نزل على سعد بن خيثمة[٨٣]، ويذكر ابن سعد أن رسول الله ﷺ آخى بينه وبين الحارث بن أوس ﷺ[٨٤].

(٧٣) ابن الأثير: أسد الغابة، ٣١/٣؛ ابن حجر: الإصابة، ٤٨٢/٣.
(٧٤) ابن هشام، السيرة النبوية، ٤٨٥/١. المنائح: جمع وَالمَنِيحَةُ مفردها وهي: مِنْحة اللبن كالناقة أو الشاة تعطيها غيرك يحتلبها ثم يردها عليك. ابن منظور: لسان العرب، ٦٠٧/٢.
(٧٥) ابن هشام، السيرة النبوية، ٤٨٢/١؛ ابن سعد: الطبقات، ١٧٧/١.
(٧٦) ابن سعد: الطبقات، ٢١١/٣.
(٧٧) ابن الأثير: أسد الغابة، ٣١/٣؛ ابن حجر: الإصابة، ٤٨٢/٣.
(٧٨) ابن الأثير: أسد الغابة، ٣١/٣؛ ابن حجر: الإصابة، ٤٨٢/٣.
(٧٩) ابن الأثير: أسد الغابة، ٣١/٣.
(٨٠) هو سراقة بن مالك بن جُعشُم المدلجي الكناني، سيد من سادة العرب وسيد قبيلة مدلج الكنانية. كان ينزل قُدَيدًا. لحق برسول الله ﷺ وصاحبه ﷺ خلال الهجرة فساخت أقدام فرسه في الأرض، فطلب من رسول الله ﷺ الخلاص فنجا، وقيل أسلم يوم الفتح، وقيل بعد غزوة الطائف. مات سنة أربع وعشرين، وقيل بعد خلافة عثمان ﷺ. انظر ترجمته في: ابن الأثير: أسد الغابة، ١٩٧/٢-١٩٨؛ ابن حجر: الإصابة، ٣٥/٣-٣٦.
(٨١) الأديمُ: الجِلدُ ما كان، وقيل الأحمر منه، وقيل المدبوغ. ابن منظور: لسان العرب، ٢٧٥/١٤؛ الزبيدي: تاج العروس، ٢٠٨/٣١.
(٨٢) البخاري: الصحيح، ١٤٠/٥؛ ابن حجر: الفتح، ٢٨١/٧.
(٨٣) هو أبو خيثمة سعد بن خثيمة بن الحارث الأنصاري الأوسي. ذكره ابن إسحاق ممن شهد بيعة العقبة، فهو عقبي بدري، نقيب لبني عمرو بن عوف. كان بيته يُسمى بيت العُزَّاب، وكان رسول الله ﷺ يجلس في بيته للناس. استشهد يوم بدر في السنة الثانية من الهجرة. انظر ترجمته في: ابن الأثير: أسد الغابة، ٢١٢/٢؛ ابن حجر: الإصابة، ٤٦/٣.
(٨٤) هو الحارث بن أوس بن معاذ الأوسي الأنصاري، الحارث بن أوس بن معاذ بن النعمان شهد بدرًا، وهو ممن حضر قتل ابن الأشرف مع محمد بن مسلمة، فجرح في رجله وحمل إلى رسول الله ﷺ، ثم شهد أحدًا وقتل بها شهيدًا، وكان يوم قتل ابن ثمانٍ وعشرين سنة. ابن سعد: الطبقات، ٢١١/٣-٢١٢ و٣/ ٤٠٣.

وقد شهد عامر ﷺ مع رسول الله ﷺ غزوتي بدر وأحد[٨٥]، وقُتل ﷺ في سرية بئر معونة[٨٦] سنة أربع من الهجرة المباركة، قتله يومها جبار بن سلمى[٨٧]، وقيل: رُفِعَ عامر بن فهيرة إلى السماء فلم تُوجَد جُثته[٨٨]، وقيل كان ذلك سببًا في إسلام قاتله[٨٩].

عندما أذن الله لنبيه محمد ﷺ بالهجرة، وقد كان من قبل يتردّد على بيت أبي بكر الصديق ﷺ لا يكاد يدع ذلك[٩٠]، فلما أُذن له جاء إلى بيت أبي بكر ظهرًا على غير عادته وهو متقنّع[٩١]، ثم أخبر ﷺ رفيق هجرته أبا بكر الصديق ﷺ بذلك لتبدأ عملية الإعداد لهذه المرحلة[٩٢]، والمتأمل في كثير من الروايات الواردة يجد هنالك تضاربًا بين الصحيح منها مع النقل التاريخي؛ فنجد من يقول ذهب رسول الله ﷺ إلى الغار مع أبي بكر الصديق ﷺ وهي رواية الزهري التي ذكرها ابن اسحاق[٩٣] ومن نقل عنه[٩٤]، فيما نجد من يقول بذهاب رسول ﷺ إلى الغار وحده ولحاق أبو بكر الصديقﷺ به عند بئر

(٨٥) ابن سعد: الطبقات، ٢١١/٣-٢١٢؛ ابن الأثير: أسد الغابة، ٣١/٣؛ ابن حجر: الإصابة، ٤٨٢/٣.

(٨٦) حادثة بئر معونة: هي المأساة التي وقعت في صفر من السنة الرابعة من الهجرة بأرض تقع بين بني عامر وحرّة بني سُليم، حيث قُتل بها سبعون من قرّاء الصحابة وعبّادهم كان النبيّ ﷺ أرسلهم إلى نجد لتعليم أهلها الإسلام، فغدر بهم بنو عامر ومن أطاعهم من بني سُليم، وقد مكث رسول الله ﷺ شهرًا كاملاً يدعو على المعتدين. انظر: ابن كثير: أبو الفداء إسماعيل بن عمر الدمشقي، السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م، ١٣٩/٣.

(٨٧) هو جبار بن سُلمَى بن مالك بن جعفر بن كلاب بن ربيعة. وفد على رسول الله ﷺ فأسلم ورجع إلى قومه بضَرِيّة، وقيل حضر مع عامر بن الطفيل عندما أراد اغتيال رسول الله ﷺ ثم أسلم بعد ذلك، ولم يُحدد له تاريخ وفاة. انظر ترجمته في: ابن الأثير: أسد الغابة، ٣٦٠/١-٣٦١؛ ابن حجر: الإصابة، ٥٥٨/١-٥٥٩.

(٨٨) ابن سعد: الطبقات، ٢١١/٣-٢١٢؛ ابن الأثير: أسد الغابة، ٣١/٣؛ ابن حجر: الإصابة، ٤٨٢/٣.

(٨٩) ابن الأثير: أسد الغابة، ٣٦٠/١-٣٦١؛ ابن حجر: الإصابة، ٥٥٨/١-٥٥٩.

(٩٠) ابن حجر: فتح الباري، ٢٣٠/٧.

(٩١) مُتَقَنّع: من تَقَنّع، إذا تغشى بثوب. انظر: ابن منظور: لسان العرب، ٣٠١/٨؛ ابن الأثير: مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، تخريج وشرح: صلاح محمد عويضة، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م، ١٠٠/٤.

(٩٢) ابن هشام: السيرة النبوية، ٤٨٣/١.

(٩٣) ابن هشام : السيرة النبوية، ٥٦٩/١؛ابن حجر: فتح الباري، ٢٣١/٧؛ أكرم ضياء العمري، السيرة النبوية الصحيحة، مكتبة العلوم والحكم، ط٥، المدينة المنورة، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م، ٢٠٩/١.

(٩٤) على سبيل المثال لا الحصر: ابن سعد: الطبقات، ١٩٤/١؛ الطبري: تاريخ الأمم، ٥٦٩/١؛ السهيلي: الروض الأنف، ٣١٥/٢-٣١٦.

ميمون[٩٥] بعد أن أوصى ﷺ عليّ بن أبي طالب ﷺ بأن يُخبر أبا بكر ﷺ بذلك[٩٦]، مع أن هذه الرواية لم تستقم أمام الروايات المتواترة[٩٧].

([٩٥]) بئر مَيْمُون: هي بئر جاهلية قيل أنها حُفرت قبل حفر عبد المطلب لبئر زمزم، وتُنسب إلى ميمون بن خالد بن عامر الحضرمي، وقيل ميمون بن الحضرمي، وكان ميمونًا حليفًا لحرب بن أمية، وهي اليوم بين إمارة مكة وقصر الملك فيصل القديم، وتجتمع فيها عين زبيدة القادمة من حنين مع عين زبيدة في الشرائع. السهيلي: الروض الأنف، ١٣٢/٢؛ عاتق غيث البلادي: معجم معالم الحجاز، ١٥٨/١.

([٩٦]) ابن حنبل: أحمد بن حنبل الشيباني، المسند، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م، ٢٦/٥-٢٧؛ الحاكم: أبو عبد الله محمد بن عبد الله النيسابوري، المستدرك على الصحيحين، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط٣، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م، ٥/٣.

([٩٧]) قال الهيثمي: "رجال أحمد رجال الصحيح غير أبي بَلْج الفزاري وهو ثقة وفيه لين"، وقال ابن حجر: "أبو بَلْج صدوق وربما أخطأ"، وأما ابن كثير فقال: "وهذا غريب جدًّا وخلاف المشهور أنهما خرجا معًا". والرواية متواترة في غالب كتب المصادر على أن رسول الله ﷺ خرج من بيت أبي بكر مع الصديق إلى الغار مترافق. ابن هشام: السيرة النبوية، ٥٦٩/١؛ الهيثمي: نور الدين علي بن أبي بكر، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، تحقيق: حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، القاهرة، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م، ١٢٠/٩؛ ابن حجر: فتح الباري، ٢٣١/٧؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ١٧٩/٣؛ أكرم العمري: السيرة النبوية الصحيحة، ٢٠٩/١.

المبحث الأوَّل:

دور عليّ بن أبي طالب ﷺ الإستخباراتيّ في الهجرة المباركة:

ذكرت المصادر أن الدَّور الاستخباراتيّ الذي أوكله رسول الله ﷺ إلى عليّ ﷺ يتمثل في النوم على فراشه، وأن يتسجَّى ببُردة[٩٨] الحَضْرميّ الأخضر[٩٩]. ولا ريب أن هذه الفدائية الـمُقَدمْة من علي ﷺ ليست بمستغربة على جيل الصحابة الأول، ولا على شاب قد عاش في حجر وكنف رسول الله ﷺ[١٠٠]، ولكن عند قراءة هذا الدَّور نجده مؤيدًا بحفظ رب السماء، وهو الذي أشار إليه النبيّ ﷺ في قوله: "فإنه لن يخلص إليك شيء تكرهه منهم"[١٠١].

ووردت رواية تشير إلى ذهابه ﷺ مع رسول الله ﷺ إلى الكعبة، وأنه صعد على منكب رسول الله ﷺ ليرمي صنم قريش الذي كان من نحاس وموتد بأوتاد من حديد فوقه[١٠٢]، وعلّق أحد الباحثين على هذه الرواية بأن ذلك الخبر غير منطقي[١٠٣]، ورغم وجود هذه الرواية في مصنّف ابن أبي شيبة ومسند أحمد والنَّسائي[١٠٤]، وفي صحيح السِّيرة للعُمري، وقد أشار جميعهم إلى ضعفها؛ قال العُمري: "وأن مدار الرواية على نعيم بن حكيم، وهو صدوق له أوهام، ومثله لا يُحتج بما تفرد به"[١٠٥].

---

(٩٨) البُرْدَة:كساء يُلتحف به، وهو نوع من الثياب، وقيل البُرْدَة: الشمْلةُ المخططة، وقيل إذا جُعل الصوف شقة وله هُدْب فهي بُردْة. ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث،١١٦/١؛ ابن منظور: لسان العرب، ٥٤/٤.

(٩٩) ابن هشام، السيرة النبوية، ٤٨٣/١؛ ابن سعد: الطبقات، ١٩٤/١؛ الطبري: تاريخ الأمم،٥٦٧/١؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ٦٩٤/١.

(١٠٠) ابن حجر: الإصابة، ٤٦٤/٤.

(١٠١) ابن هشام، السيرة النبوية،٤٨٣/١.

(١٠٢) ابن أبي شيبة: أبو بكر عبد الله، المصنف، تحقيق: عبد الخالق الأفغاني، د.ط، الدار السلفية، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م، ٤٨٨/١٤-٤٨٩.

(١٠٣) مهدي رزق الله: السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، ط١، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م، ٢٧٠/١.

(١٠٤) ابن حنبل: المسند، ٨٤/١؛ النسائي: أبو عبد الرحمن أحمد بن علي، خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، تحقيق: أحمد ميرين البلوشي، ط١، مكتبة المعلي، بيروت، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م، ١٣٤-١٣٥؛ الحاكم: المستدرك، ٥/٣.

(١٠٥) أكرم العمري: السيرة النبوية الصحيحة، حاشية رقم ٢، ٢١٠/١.

وأما الجانب الأهم في هذا الدَّور الاستخباراتيّ فهو مهمة عليّ ﷺ الاستخباراتيّة التي اشتملتْ على التمويه والتضليل والتّعمية[١٠٦]، وهي في الحقيقة من أهم الأدوار، بل هي محور أساسي لكل بقية الأدوار الأخرى؛ لأن فشل هذه المهمة يعتمد على فشل الخطة الاستخباراتيّة بمجملها[١٠٧].

وكان تكليف رسول الله ﷺ لعليّ ﷺ بهذا الواجب يستدعي أن يكون شخصًا موجودًا في بيته وقريبًا منه، فقريش قد أعدّت خطتها وجهزت مجموعة من الشباب بزعامة عدد من ملأ قريش لتنفيذ جريمة القتل في صباح اليوم التالي، ولكن دقة التخطيط الاستخباراتيّ لرسول الله ﷺ استدعتْ اختيار عليّ ﷺ لهذه المهمة، لأنه الأعرف بممارسات الرَّسول ﷺ اليومية، وكذلك فإن قريش تعلم بمدى علاقته ﷺ برسول الله ﷺ، وهو ما يؤكده قول رسول الله ﷺ: "إن قريشًا لم يفقدوني ما رأوك"[١٠٨].

وقد وصف علي ﷺ هذا المشهد فيما ذكره الحاكم في مستدركه، فقال ﷺ:

وَقَيتُ بنَفْسي خَيْرَ مَن وَطـــئَ الحَصَا ومَنْ طافَ بالبيْتِ العَـتِـيق وبالحِـجْـــرِ
رسولُ الإلــهِ خَاف أنْ يـمْكُروا بــه فـنَـجَّاه ذُو الطَّـوْلِ الإلهِ مـنَ الـمـكْـرِ
وبـاتَ رَسـولُ الله في الـغَـارِ آمنًا مُـوقًّى وفي حِـفْـظِ الإلــهِ وفي سِـتْـرِ
وبِـتُّ أُراعِـيهِم ولم يـتَّهـمُونَـني وقدْ وطَّنتُ نفْسِـي على القَـتْلِ والأسْرِ[١٠٩]

وعندما بدأت قريش في تنفيذ مخططها وقفت على باب رسول الله ﷺ لمحاصرته تمهيدًا لتنفيذ مؤامراتها التي تستهدف قتله ﷺ[١١٠]، وتذكر المصادر[١١١] خروج رسول الله ﷺ من بين أيديهم، وأنه قد أخذ ينثر التراب على رؤوسهم وهو يتلو قوله تعالى: ﴿يس،

---

(١٠٦) كان الهدف الأساس الذي أجمعت المصادر عليه في بقاء علي بن أبي طالب ﷺ في فراش رسول الله ﷺ هو أداء الأمانات التي كانت لناس من قريش عنده، وأوصاه أن يخرج بأهله إذا فرغ منها. انظر: ابن هشام: السيرة النبوية، ٥٧٠/١؛ ابن سعد: الطبقات، ١٧٦/١؛ الطبري: تاريخ الأمم، ٥٦٩/١؛ البلاذري: أنساب الأشراف، ٢٦٥/١.

(١٠٧) كان علي بن أبي طالب ﷺ على علم بخبر هجرة الرسول ﷺ، فقد أمره أن يؤدي عنه ﷺ الودائع التي كانت عنده للناس؛ حيث كانت الناس تضعها عنده لصدقه وأمانته ﷺ. ابن هشام: السيرة النبوية، ٤٨٧/١.

(١٠٨) ابن الأثير: أسد الغابة، ٥٩٢/٣.

(١٠٩) الحاكم: المستدرك، ٥/٣.

(١١٠) ابن هشام، السيرة النبوية، ٤٨٣/١؛ ابن سعد: الطبقات، ١٩٤/١؛ الطبري: تاريخ الأمم، ٥٦٧/١.

(١١١) ابن هشام، السيرة النبوية، ٤٨٣/١؛ ابن سعد: الطبقات، ١٩٤/١؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ٦٩٤/١.

وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ، إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ، عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾، حتى قوله سُبحانه ﴿وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾[١١٢].

وبدأت عند ذلك خطة التّمويه المؤيدة من الله على يد رسوله ﷺ كما أشارت إليه المصادر، والتي تمثلت في دور عليّ ﷺ الاستخباراتيّ الهادف إلى إشغال قريش عن إدراك أي خبر يدل على خروج النبيّ ﷺ من بيته، حيث بقيت قريش ترى أن رسول الله ﷺ هو الموجود في فراشه، في ما كان علي ﷺ يقوم بهذا الدَّور من التعمية على قريش حتى يتمكن رسول الله ﷺ من الوصول إلى هدفه.

وقد أدّى دور عليّ ﷺ في شقّه الأول نجاحًا باهرًا، إذ غدا الراصدون من قريش على باب رسول الله ﷺ بين مصدق ومكذب، خاصة بعد أن جاءهم رجل ليس معهم فقال: "ما تنظرون ها هنا؟ قالوا محمدًا؛ قال: خيّبكم الله! قد والله خرج عليكم محمد، ثم ما ترك منكم رجلًا إلا وضع على رأسه ترابًا وانطلق لحاجته، أفما ترون ما بكم؟ قال: فوضع كلّ رجل منهم يده على رأسه فإذا عليه تراب، ثم جعلوا يتطلعون فَيرَون عليًّا على الفراش متسجِّيًا بِبُرْد رسول الله ﷺ، فيقولون: والله إن هذا لمحمدٌ نائمًا، عليه بُرده"[١١٣].

وتذكر بعض المصادر أن عليّ ﷺ عندما استيقظ في الصباح، تبين للفتية أن الذي في الفراش غير رسول الله ﷺ[١١٤]، فيما فصّلت رواية أخرى في ما حدث بعد ذلك من حوادث، فذكر الحاكم عن ابن عباس ﷺ أنهم كانوا يرمون عليًّا بالحجارة خلال الليل وهو يتضور[١١٥]، وهو مسجَّى ببُرد رسول الله ﷺ، حتى إذا تبين لهم أنه عليًّا قالوا: إنك للئيم، إنك لتتضور وصاحبك لا يتضور[١١٦]، ولعلّ ذلك الرمي بالحجارةكان بهدف التأكد من عدم مغادرته الفراش لتنفيذ مخطّطهم الماكر.

([١١٢]) سورة يس: ١-٤، ٩. والمقصود أنه قرأ السورة من بدايتها حتى الآية التاسعة المذكورة من قوله جل وعلا.
([١١٣]) ابن هشام، السيرة النبوية، ٤٨٣/١.
([١١٤]) ابن هشام، السيرة النبوية، ٤٨٣/١؛ ابن سعد: الطبقات، ١٩٤/١؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ٦٩٤/١.
([١١٥]) التَّضَوُّر: هو التلوي والصياح من وجع الضرب أو الجوع أو المرض، ومنه يظهر الضُّرّ الذي به ويضطرب منه. ابن منظور: لسان العرب، ١٦٦/٦.
([١١٦]) الحاكم: المستدرك، ٥/٣ و١٤٤.

وقد سرد الطبري بعض التفاصيل الدقيقة حال دخولهم دار رسول الله ﷺ فقال: "وأصبح الرّهط[١١٧] الذين كانوا يرصدون رسول الله ﷺ فدخلوا الدّار، وقام علي ﷺ عن فراشه، فلما دنْوا منه عرفوه فقالوا له: أين صاحُبك؟ قال: لا أدري، أو رَقيبًا كنتَ عليه! أمرتموه بالخروج فخرج، فانتهروه وضربوه وأخرجوه إلى المسجد، فحبسوه ساعة ثم تركوه"[١١٨].

وفي النص دلالات على التضليل والتّعمية، حيث يدل النص على إنكار عليّ ﷺ معرفة أي معلومة عن رسول الله ﷺ، وأنه ليس رقيبًا عليه، وهو الأمر الذي استدعى قريش أن تحاول استنطاقه ﷺ بالقوة، خصوصًا أن قريش قد علمت بأن البُردة التي كان يتسجَّى بها هي بُردة رسول الله ﷺ، ولكنها أيقنت بفشل مخططها الرامي إلى قتل رسول الله ﷺ، وعند ذلك بدا الاستنفار العام في مكة للبحث عن أي دليل يقود إلى مكان وجود النبيّ ﷺ.

وما يمكن قوله في ختام هذا المبحث، أن دور عليّ ﷺ الاستخباراتيّ كان محصورًا في التمويه والتضليل والتّعمية على قريش، وأن هذا الدَّور الاستخباراتيّ يمثل المحور الأساسي للخطة الاستخباراتيّة التي رسمها رسول الله ﷺ بتكليفه لعلي ﷺ بهذا الدور.

(١١٧) الرّهط: هم قوم الرجل وقبيلته الأقربون. أحمد رضا: معجم متن اللغة (موسوعة لغوية حديثة)، د.ط، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٣٧٧هـ/١٣٥٨م، ٦٦٣/٢.

(١١٨) الطبري: تاريخ الأمم، ٥٦٨/١.

المبحث الثَّاني:

دور عبد الله بن أبي بكر الصديق ﷺ الاستخباراتيّ في الهجرة المباركة:

لم يكن دور عبد الله بن أبي بكر ﷺ دورًا على هامش التاريخ، بل كان دورًا استثنائيًّا بكل تفاصيله ومعلوماته الدقيقة؛ لأن الهجرة النَّبويَّة علامة فاصلة في البناء والتكوين لدولة الإسلام وطنًا وعقيدة. ومن هنا يبرز لنا مدى أثر هذا الدَّور الذي أسهم في حماية الرَّسول ﷺ وصاحبه أبو بكر الصديق ﷺ عند الخروج من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة، والذي حفظته لنا كُتب المصادر من خلال المعلومات التي قدمتها لنا عن الهجرة النَّبويَّة المباركة بتفاصيلها(١١٩).

فقد كانت مشاركة عبد الله ﷺ ذات أثر كبير في بناء مخطط الهجرة النَّبويَّة الشريفة، وهي الهجرة التي رسم تفاصيلها رسول الله ﷺ وصاحبه أبي بكر ﷺ، وقد تناولت المصادر دور عبد الله ﷺ بإيجاز ضمن تفاصيل الهجرة المباركة، كما أنها لم تتناول عُمْرَ عبد الله ﷺ خلال تلك الحقبة، ولا أشارتْ إلى تفاصيل الأخبار والمعلومات التي كان يقوم بإيصالها إلى رسول الله ﷺ، كما أن عبد الله نفسه لم يُحدّث بأي تفصيل عن دوره ولا عن تلك المهمة خلال فترات حياته في المدينة بعد الهجرة المباركة، وإلا لما تجاهلتها المصادر التاريخية.

ولكن الباحث يزعم أن هذا الدَّور كان دورًا استخباراتيًّا استثنائيًّا في هذه المرحلة، حيث أسهم ذلك الدور في نجاح كامل لمخطط الهجرة المباركة المرسوم بلا ريب؛ لأنه يُعدّ في وقتنا الحاضر من أهم الأدوار التي تلعبها الدول في علاقاتها وحفظ أمنها على الصعيدين المحلي والدولي.

وتتمثل التفاصيل الدقيقة لدور عبد الله ﷺ الاستخباراتيّ في الهجرة المباركة التي نصت عليه كتب المصادر(١٢٠)، ولكي نُفصل الحديث عن هذا الدَّور فلا بدّ من حمل

(١١٩) ابن هشام، السيرة النبوية، ٥٧٠/١؛ ابن سعد: الطبقات، ١٧٦/١؛ الطبري: تاريخ الأمم، ٥٦٩/١؛ الحاكم: المستدرك، ٥/٣؛ الكلاعي: الاكتفاء، ٢٨٢/١؛ ابن حجر: فتح الباري، ٢٧١/٧-٢٧٣؛ ابن حجر: الإصابة، ١٦/٨.

(١٢٠) ابن هشام، السيرة النبوية، ٤٨٢/١؛ ابن سعد: الطبقات، ١٧٦/١؛ الطبري: تاريخ الأمم، ٥٦٩/١.

النص الذي ورد من حديث أم المؤمنين عائشة بنت الصديق رضي الله عنها، فهي أخته وشاهدة على هذا الدَّور رغم صغر سنّها في تلك الفترة[١٢١]، حيث أوردت – رضي الله عنها – تفاصيل دقيقة تناولت الوقت والدور والفترة، وهو ما نقلته معظم المصادر وتوافق مع رواية ابن إسحاق[١٢٢]، وهذا النص مفاده: "ثم لحق رسول الله ﷺ بغار في جبل ثور[١٢٣]، فكمنا ثلاث ليال[١٢٤] يبيت عندهما عبد الله بن أبي بكر ﷺ، وهو غلام شاب ثقف لقن[١٢٥]، فيُدلج[١٢٦] من عندهما بسحر، فيصبح مع قريش بمكَّة كبائت، فلا يسمع أمرًا يكتادان به[١٢٧] إلاّ وعاه حتى يأتيهما بخبر ذلك حين يختلط الظلام"[١٢٨].

والمتأمل في النص السابق يتبيّن له أن هذا الدَّور في مجمله هو دور سريّ، وهو ما دعا الباحث إلى تصنيفه ضمن خانة الدور الاستخباراتيّ لمهمته السّرية، والتي تحمل بين طياتها مخاطرة وفدائية من عبد الله ﷺ؛ فقد يتعرض هذا الشاب – في حال كشفت قريش ملامح هذا الدَّور – إلى القتل.

---

(١٢١) تُشير كثير من المصادر إلى أن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قد وُلدت في الإسلام، وأنها لم تعقل أباها وأمها إلا وهما يدينان بالإسلام، وكانت أختها أسماء أكبر منها بعشر سنين وعند الذهبي بضع عشرة سنة، كما ذكر الذهبي أنها أصغر من فاطمة بنت النبيّ ﷺ رضي الله عنها، كما ذكر ابن حجر أنها ولدت في العام الرابع أو الخامس من البعثة النبوية المباركة، وعلى ذلك فعمرها ثمان أو تسع سنين بما يوافق ذلك، فهي عند وفاة الرسول ﷺ كانت قد بلغت ثماني عشرة سنة. أبو نعيم: معرفة الصحابة، ٣٢٥٣/١؛ الذهبي: سير أعلام الأعلام، ١٣٩/٢، ابن حجر: فتح الباري، ٢٧١/٧-٢٧٣؛ ابن حجر: الإصابة، ١٦/٨.

(١٢٢) تتفق رواية ابن اسحاق مع ما ورد في الصحاح ما عدا موضوع إيصال أسماء رضي الله عنها للطعام.

(١٢٣) غار ثور: هو الغار الواقع في جبل أسفل مكة على مسافة ثلاثة أميال منها، وارتفاعه نحو ميل، وسُمّي الجبل ثورًا نسبة إلى ثور بن مناة بن طائخة لأنه كان ينزله، وصحّ أنّ النبيّ ﷺ وأبا بكر الصديق اختليا فيه، وهو مشهور يؤثره الخلف عن السلف، وهو الذي ذكره الله سبحانه في القرآن في قوله تعالى: ﴿ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ﴾. ابن الضياء: أبو البقاء محمد بن أحمد المكي الحنفي، تاريخ مكة المشرفة والمسجد الحرام والمدينة الشريفة والقبر الشريف، تحقيق: علاء إبراهيم وأيمن نصر، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م، ١٩٩.

(١٢٤) قال ابن حجر: ليلة الجمعة وليلة السبت وليلة الأحد، وخرج يوم الاثنين، فتح الباري، ٢٧٨/٧.

(١٢٥) ثَقِفٌ: رجل حاذق فَهِمْ، وهو سريع التعلم، فهو ذو فطنة وذكاء، أي ثابت المعرفة بما يحتاج إليه، وقال ابن حجر: ثَقفتُ الشيء أقمت عوجه، ولَقِن: لَقَن الشيء يلقَنُهُ لَقْنًا، وكذلك الكلام تلقَنَهُ بمعنى فَهِمَهُ، وغلام لَقن بمعنى سريع الفهم حَسَنُ التلقين لما يسمع. ابن منظور: لسان العرب، ٣٦٢/١٠-٣٦٣ و٢٧٥/١٧؛ ابن حجر: فتح الباري، ٧/ ٢٧٩.

(١٢٦) يدلج: الدُّلجَةُ هي سير السحر، والدَّلجَةُ هي سير الليل كله، وقيل ادَّلج – بالتشديد - بمعنى سار آخر الليل، وأدْلجْ - بالتخفيف - سار أول الليل. ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث، ١٢٠/٢؛ ابن منظور: لسان العرب، ٢٧٢/٢؛ ابن حجر: فتح الباري، ٢٧٩/٧؛ الزبيدي، تاج العروس، ٥٧٠/٥-٥٧١.

(١٢٧) يكتادان به: الكيد من كُدْت: وهو الخبث والمكر والاحتيال والاجتهاد به، ومنه طلب المكروه للرسول ﷺ وصاحبه الصديق رضي الله عنه. ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث، ١٨٧/٤؛ ابن منظور: لسان العرب، ٣٨٣/٣؛ ابن حجر: فتح الباري، ٢٨٠/٧.

(١٢٨) ابن حجر: فتح الباري، ٢٧٢/٧-٢٧٣.

كما حمل هذا الدَّور حالة استخباراتية هامة تقوم بها اليوم أجهزة متكاملة في العدد والعدة لحماية أمن الدول، وهو بمفرده يؤدي عملًا مؤسّسيًّا، تمثل في جمع المعلومات وتحليلها وحصر كل الحيل والخطط التي تفكر بها قريش أو تتدارسها في نواديها ثم حفظها ووعيها ونقلها لرسول الله ﷺ وصاحبه أبي بكر ﷺ مساءً كل ليلة من تلك الليالي الثلاث في الغار.

ولقد استطاع عبد الله ﷺ كشف تفاصيل مخطّطات قريش وتحذير النبيّ ﷺ من هذه الأعمال والمؤامرات خلال ثلاثة ليال، يقوم بالجمع والتحليل والإيصال ثم العودة الليلة الأخرى بنفس المهمة، وهو الدَّور الذي حافظ على سلامة الخطة التي رسمها رسول الله ﷺ وصاحبه ﷺ. كما استدعى الأمر مبيت عبد الله ﷺ في الغار مع رسول الله ﷺ ووالده ﷺ لزيادة الكتمان والتخفي عن العيون، وكذلك للحصول على قسط من الراحة خلال البقاء في الغار ليقوم بالمهمة في اليوم التالي، وكل هذا العمل تمّ من خلال عملية تخفي واستتار عن الأنظار، فذهاب عبد الله ﷺ كان في الظلام وعودته كانت في الظلام.

كما يدل النص في رواية أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها على صفات ومؤهلات دلّت على معايير هامة، وهي قولها: "وهو غلام شاب ثقف لقن"[١٢٩]، وهذه الصفات لا يمكن تجاهلها، فهي تدل على فكر وبراعة في التخطيط، إذ أن عبد الله كان غلامًا شابًّا، وعند تحليل هذه العبارة نجد أن عبد الله ﷺ كان في سنٍّ صغيرة محصورة بين الطفولة والشباب، وهو ما يمكن أن يُستخلص منه عدم توقع قريش من هذا الغلام عملًا كبيرًا، بل إنها لم تفتقده من بيت الصديق ﷺ عندما غاب؛ على الرغم من وصول بعض أعيان قريش إلى بيت الصديق واستنطاق أسماء رضي الله عنها عن خبر أبيها[١٣٠]، وهو ما سيتمّ تفصيله لاحقًا.

ومن الصفات التي أطلقتها أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عن عبد الله ﷺ أنه "شاب ثقف"، أي سريع الفهم، ولقن، أي حسن التّلقي لما يسمعه، وهذه الصفات على

(١٢٩) ابن حجر: فتح الباري، ٢٧٢/٧-٢٧٣.
(١٣٠) ابن هشام: السيرة النبوية، ٤٨٦/١؛ الطبري: تاريخ الأمم، ٥٦٩/١؛ السهيلي: الروض الأنف، ٣٢٠/٢.

الأغلب هي شرط من شروط العمل الاستخباراتيّ، وقد تمّ تسخيرها كأدوات لحماية مخطط الهجرة المباركة، واستغلال الصديق ﷺ لهذه المهارة الفائقة لدى ابنه عبد الله ﷺ.

وأما المعلومة الاستخباراتيّة التي كان ينقلها فقد شحت المصادر عن ذكر تلك التفاصيل، ولكنها في الجانب الآخر تناولت أخبار قريش وعزمها على البحث الدقيق عن رسول الله ﷺ وصاحبه الصديق ﷺ بكل الوسائل، ومن تلك المعلومات – التي نزعم أنها كانت محور المعلومة الاستخباراتيّة التي كان ينقلها عبد الله ﷺ – ما ذكره ابن هشام بقوله: "وجعلتْ قريش فيه حين فقدوه مائة ناقة لمن يرُدّه عليهم"(١٣١). وبلا ريب فإن هذه المعلومة هي محور القضية الاستخباراتيّة، إلا أننا نوردها كنص من نصوص المعلومات الاستخباراتيّة التي لم تتناول المصادر تفاصيلها، وكذلك تذكر المصادر بين نصوص الهجرة المباركة حالة الاستنفار العامة لقبيلة قريش والجدّ في طلب النبيّ ﷺ وصاحبه الصديق ﷺ، وتحركهم في كل جهات مكة للبحث عن الهدف، وهو ما أشار إليه الكلاعي في قوله: "لما فقدت قريش رسول الله ﷺ طلبوه بمكّة أعلاها وأسفلها، وبعثوا القافة يتبعون أثره في كل وجه"(١٣٢)، ومن ذلك زيارتهم لبيت الصديق ﷺ في نفر من قريش كان فيهم أبو جهل، وقد دلّ غضب أبو جهل ولطمه لأسماء رضي الله عنها(١٣٣) على الحالة العامة التي بلغتها قريش من اليأس والخذلان.

ومن جهة أخرى فإن الباحث يرى أن من المعلومات التي نقلها عبد الله إلى رسول الله ﷺ وصاحبه الصديق ﷺ في الغار، هو ذكره لهما لحالة الهلع والاستنفار في البحث وتعميم خبر المكافئة على المناطق المجاورة لمكة لتعزيز دور البحث والتقصي عن أي معلومة تُشير إلى مكان النبيّ ﷺ وصاحبه ﷺ، وتفعيل دور القافة(١٣٤) في تتبع أثر رسول الله ﷺ(١٣٥).

(١٣١) ابن هشام، السيرة النبوية، ٤٨٦/١.
(١٣٢) الكلاعي: الاكتفاء، ٢٨٢/١.
(١٣٣) ابن هشام: السيرة النبوية، ٤٨٦/١؛ الطبري: تاريخ الأمم، ١/ ٥٦٩؛ السهيلي: الروض الأنف، ٣٢٠/٢.
(١٣٤) القافة: من القَفْوُ، وهو مصدر من قفا يَقْفُو قَفْوًا، بمعنى تتبع الشيء، يقال قَفَوْت فلانًا: أي اتّبعتُ أثره. ابن منظور: لسان العرب، ٥٥/٢٠؛ الزبيدي، تاج العروس، ٣٩/ ٣٢٧.
(١٣٥) السهيلي: الروض الأنف، ٣١٧/٢ ؛ الكلاعي: الاكتفاء، ٢٨٢/١.

وتُؤكد رواية سراقة بن مالك المدلجي – وكانت أرض بني مدلج في ذات العشيرة وقديد[١٣٦] – نشر قريش وتعميمها لخبر البحث عن النبيّ ﷺ على عرب المنطقة، وكان ممّا ورد في هذه الرواية قول سراقة: "فبينا أنا جالس في نادي قومي إذ أقبل رجلٌ منَّا، حتى وقف علينا فقال: جاءتنا رسل كفار قريش يجعلون في رسول الله ﷺ وأبي بكر ﷺ دية لكل واحد منهما لمن قتلهما أو أسرهما"[١٣٧]، ويتضح منه ما يسند القول بنشر قريش خبر المكافئة لإغلاق المنافذ الخارجية على رسول الله ﷺ وصاحبه الصديق ﷺ.

وقد أسهمت تلك المعلومات الاستخباراتيّة التي نقلها عبد الله ﷺ في حماية مخطط الهجرة وتحديثه بناء على ما يصل من الأخبار الاستخباراتيّة اليومية، ويدل تأكيد زمن المغادرة المرسوم – كما تمّ رسمه في خطة الهجرة النَّبويَّة قبل الوصول إلى الغار – على نجاح المخطط النبوي كما تم التخطيط له من قبل، فلم يثبت في المصادر أن هذا الزمن تغير، إذ أن موعد أبي بكر الصديق ﷺ للدليل عبد الله بن الأريقط[١٣٨] بموافاتهم بعد ثلاث ليالٍ هو ما تمّ بالفعل، وهو ما يُشير إلى نجاح الخطة المرسومة والتي أسندها الدور الاستخباراتيّ الهام لعبد الله بن أبي بكر ﷺ.

(١٣٦) ذات العُشَيْرة: إيه تنسب غزوة الرسول ﷺ وفيها وادع بني مدلج، وهو اليوم من ينبع النخل. وقُدَيْد: وادٍ فحل من أودية الحجاز، كثير العيون والمزارع، ويدفع إلى البحر الأحمر، طوله نحو ١٥٠ ميلًا نصفه ستارة والنصف الآخر قُدَيْد. عاتق البلادي: معجم معالم الحجاز، ١١٦٠/٦ و١٣٥٦/٧.

(١٣٧) ابن هشام، السيرة النبوية، ٤٨٩/١؛ الحاكم: المستدرك، ٧/٣.

(١٣٨) هو عبد الله بن الأريقط - وقيل أرقط وقيل أريقد - الدؤلي الليثي المكي. استأجره النبيّ ﷺ كدليل عند هجرته إلى المدينة، وكان حين استئجاره كافرًا لا يُعلم له إسلام. قال الحافظ ابن حجر: لم أر من ذكره في الصحابة إلا الذهبي. ويظهر أنه أسلم بعد ذلك. انظر ترجمته في: ابن سعد: الطبقات، ٢٢٩/١؛ النووي: محيي الدين بن شرف الحوراني، تهذيب الأسماء واللغات، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٠هـ/١٩٩١م، ٣٦/١؛ ابن حجر: الإصابة، ٥/٤.

المبحث الثَّالث:

دور أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنها الاستخباراتيّ في الهجرة المباركة:

لقد كان دور أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنها هو الدَّور الأبرز، كونها كانت حينها في دار أبي بكر الصديق ﷺ وأكبر أبنائه الموجودين في الدار، ولعلّ احتمالية أن تقوم قريش بالبحث والتقصي عن رسول الله ﷺ عند بيت الصديق ﷺ كانت حاضرة. وعلى الرغم من تناول المصادر لهذا الدَّور بعرض سريع إلاّ أنها تتابعت على أدوار أخرى لم تصح أخبارها نقلًا ولا عقلًا عند تحليلها ونقدها، وهو ما سيتم مناقشته في هذا المبحث وتفصيل الحديث عنه.

وكان الدَّور الاستخباراتيّ الأوَّل لأسماء رضي الله عنها – فيما ذكرته المصادر – هو دور التموين في بداية الرحلة، ثم دور التعمية بعد الرحيل، فكما ذكر الباحث احتمالية أن دار أبي بكر الصديق ﷺ ستكون من أماكن البحث الأساسية لقبيلة قريش عن رسول الله ﷺ، فقد ذكرت المصادر ما مفاده أن أبا جهل ونفرٌ معه من قريش لما خرج النبيّ ﷺ وصاحبه اتجهوا إلى دار أبي بكر الصديق ﷺ ووقفوا على بابه[١٣٩]، ومن هنا يتجلّى للباحث دور أسماء الاستخباراتيّ؛ فالذي يمكن أن نستخلصه من خلال التفاصيل السابقة لهذا الحدث، أن محور العمل الاستخباراتيّ يبدأ بمجموعة من الأشخاص من الذين هم على علم ودراية بخبر الرَّسول ﷺ، والذين كانوا محلّ اختيار دقيق، فقد ذكر ابن إسحاق أن هجرة الرَّسول ﷺ لم يكن يعلم بها إلاّ عليّ بن أبي طالب وأبي بكر الصديق وآل أبي بكر[١٤٠].

وقد عزّز الدَّور الاستخباراتيّ لأسماء رضي الله عنها والدها الصديق ﷺ؛ فعندما جاء النبيّ ﷺ إلى بيت الصديق ليُخبره بأمر الهجرة قال له: "أَخْرِج مَنْ عندك؛ فقال: إنما هما بنتاي"[١٤١]، فكانت بداية العمل الاستخباراتيّ معززة بالثقة في أسماء رضي الله عنها،

([١٣٩]) ابن هشام: السيرة النبوية، ٤٨٩/١؛ الطبري:تاريخ الأمم، ٥٧٠/١؛ السهيلي: الروض، ٣٢٠/٢؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ٦٩٧/١.

([١٤٠]) كان مهمة علي بن أبي طالب ﷺ أن يؤدي عن النبيّ ﷺ الودائع التي كانت عنده للناس؛ حيث كانت الناس تضعها عنده لصدقه وأمانته ﷺ. ابن هشام: السيرة النبوية، ٤٨٧/١.

([١٤١]) ابن هشام: السيرة النبوية، ٤٨٩/١؛ السهيلي: الروض، ٣٢٠/٢؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ٦٩٦/١.

فقد كانت في ذلك الوقت في سنّ الرابعة والعشرين على قول أبي نعيم[١٤٢]، ومنه يمكن استخلاص أن إشارة أبي بكر الصديق هي رسالة للدور الهام الذي أوكله إلى أسماء رضي الله عنها في هذه المرحلة الحاسمة من الهجرة المباركة، فيبدأ العمل السري الاستخباراتيّ الذي استوعبت تفاصيله الدقيقة أسماء رضي الله عنها.

وفي رواية أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أدقّ التفاصيل في أمر الهجرة، ومن ذلك ما نصه: "فجهزناهما أحثّ الجهاز، ووضعنا لهما سُفرة في جراب[١٤٣]، فقطعت أسماء رضي الله عنها نطاقها[١٤٤] فربطت به على فم الجراب، فبذلك سُميت ذات النطاق"[١٤٥]. وهنا يبدأ الدور الأول لأسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها، وهو دور التّموين في بداية الهجرة المباركة والخروج من بيت والدها الصديق رضي الله عنه.

ومن جهة أخرى، فإن هذه التفاصيل التي ذكرتها رواية أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها تُشير إلى أن أسماء رضي الله عنها كانت أمام دور عظيم ستشهده الأيام المقبلة منذ أن ودعت أباها الصديق ﷺ ورسول الله ﷺ وزودتهما بسفرة سفرهما، حيث تذكر المصادر أنه بعد وقت ليس بعيد توجه نفرٌ من قريش – منهم أبو جهل – إلى بيت أبي بكر ﷺ للبحث عن رسول الله ﷺ، وهو ما روته أسماء رضي الله عنها حيث قالت: "لما خرج رسول الله ﷺ وأبو بكر ﷺ، أتانا نفرٌ من قريش، فيهم أبو جهل بن هشام، فوقفوا على باب أبي بكر ﷺ، فخرجتُ إليهم فقالوا: أين أبوك يا بنت أبي بكر؟ قالت: قلتُ: لا أدري والله أين أبي؟ قالت: فرفع أبو جهل يده وكان فاحشًا خبيثًا، فلطم خدّي لطمة طرح منها قرطي"[١٤٦]. ففي هذا النص التاريخي يظهر بوضوح دور أسماء رضي الله عنها

---

(١٤٢) أبو نعيم: معرفة الصحابة، ٣٢٥٣/١.

(١٤٣) الجراب: هو وعاء من إهاب (جلد) الشاء (الغنم) لا يُوعى (يوضع) فيه إلا يابس (أي لا يُحفظ فيه إلا الأشياء الجافة كالحبوب وغيرها). انظر: الزبيدي: تاج العروس، ١٥٠/٢.

(١٤٤) النّطاق: هو إزار تلبسه المرأة تشده على وسطها للمهنة. مصطفى إبراهيم الزيات وآخرون: المعجم الوسيط، تحقيق: مجمع اللغة العربية، د.ط، دار الدعوة، القاهرة، د.ت، ٩٣١/٢.

(١٤٥) ابن حجر: فتح الباري، ٢٧٢/٧. قال ابن إسحاق: "لما أرادت أن تُعلق السفرة شقت نطاقها باثنين، فعلقت السفرة بواحد، وانتطقت بالآخر" ابن هشام: السيرة النبوية، ٤٨٦/١.

(١٤٦) القُرْط: هو ما يُعلق من الحُليَ في شحمة الأذن من أسفلها؛ لأن ما يُعلق في أعلاها يُسمى الشّنْف. ابن هشام: السيرة النبوية، ٤٨٧/١؛ السهيلي: الروض الأنف، ٢٣٠/٢؛ الكلاعي: الاكتفاء، ٢٨٤/١؛ ابن منظور: لسان العرب، ٢٥٠/٩؛ الزبيدي: تاج العروس، ١١/٢٠.

الاستخباراتيّ، وهو دور التّعمية عن قريش عن كل خبر يتعلّق بالنبيّ ﷺ وصاحبه أبي بكر ﷺ، وقد أدت الدَّور – رضي الله عنها – على أكمل وجه.

وأما ما ذُكر عن أسماء رضي الله عنها من كونها كانت تأتي إلى الغار لتوصل الطعام إلى رسول الله ﷺ فلم يكن هذا دورًا لأسماء رضي الله عنها وذلك لعدة دلائل هي:

الأوَّل: أن نص ابن اسحاق الذي تتابع عليه الرُّواة الأقدمون والمعاصرون فيه خلط في خبر الرواية؛ فقد جعل السفرة عند الرحيل الأخير إلى المدينة، وليس ذلك بصواب، بل كان عند الخروج من منزل أبي بكر في ليل الليلة الأولى من خروج رسول الله ﷺ وصاحبه الصديق ﷺ؛ بدليل حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها – وقد شاهدة عيان لهذا الأمر – فقولها: "فجهزناهما أحث الجهاز، ووضعنا لهما سُفرة في جراب"(١٤٧)، يدلّ على أن ذلك حدث في بداية الخروج من بيت أبي بكر ﷺ، وكذلك ما روته أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها بنفسها عند قدوم أبي جهل عليهم، فقد قالتْ: "فمكثنا ثلاث ليالٍ، ما ندري أين وجه رسول الله ﷺ"(١٤٨)، وهو أيضًا نص ابن إسحاق، وهو ما يُشير إلى أن عدم الوضوح في رواية ابن إسحاق على الرغم من تصريحه في نص آخر بقوله: "وكانت أسماء رضي الله عنها تأتيهما من الطعام إذا أمست بما يصلحهما"(١٤٩)، إلا أنه يقول في موضع آخر أن عامر بن فهيرة كان إذا أمسى مرَّ عليهم فذبحا واحتلبا،(١٥٠) فهل لعناء أسماء رضي الله عنها حاجة بعد هذا الذبح.

الثاني: كل من نقل الخبر من الرواة نقل خبر ابن إسحاق دون تحقيق للخبر، مثل الطبري والسهيلي والكلاعي المقريزي والعامري(١٥١)، وأما ابن سعد فقد بيّن – حلًّا للمشكلة كما

(١٤٧) ابن هشام: السيرة النبوية، ٤٤٨٦/١؛ ابن حجر: فتح الباري، ٢٧٢/٧.
(١٤٨) ابن هشام: السيرة النبوية، ٤٨٩/١.
(١٤٩) المصدر نفسه، ٤٨٥/١.
(١٥٠) المصدر نفسه، ٤٨٦/١.
(١٥١) الطبري: تاريخ الأمم، ٥٧٠/١؛ السهيلي: الروض الأنف، ٣١٧/٢؛ الكلاعي: الاكتفاء، ٢٨٢/١؛ المقريزي: تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر، إمتاع الأسماع بما للنبي ﷺ من الأحوال والأموال والمتاع، تحقيق: محمد عبد الحميد النمسي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م، ٥٨/١؛ العامري: عماد الدين يحيى بن أبي بكر اليمني، بهجة المحافل وبغية الأماثل في تلخيص المعجزات والسير والشمائل، تحقيق: زكريا عميرات، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٧ه/١٩٩٦م، ١٧٢/١. وعلى ذلك جزم بهذ الدور الباحث إبراهيم عليّ محمد: قراءة في جوانب الحذر والحماية في السيرة النبوية، ط١، وزارة الأوقاف القطرية، الدوحة، ١٤١٧هـ/٢٠٠٧م، ١٥٣.

يظن – بقوله: "وكانت أسماء رضي الله عنها تجعل لهما طعامًا فتبعث به إليهما"[١٥٢]. أقول ومع ذلك التبرير فإن قول أسماء رضي الله عنها بأنهم مكثوا ثلاث ليالٍ لا يدرون أين وجه رسول الله ﷺ[١٥٣]، ينفي هذا التعليل من أساسه.

الثالث: أن أسماء رضي الله عنها كانت حاملًا بابنها عبد الله بن الزبير، وهو ما ورد في الصحيح من طريق هشام بن عروة عن أبيه عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها أنها قالت: "فخرجتُ وأنا متم، فأتيت المدينة ونزلت بقباء فولدته بقباء"[١٥٤]، وهو دليل على كونها في أشهرها الأخيرة من استيفاء الحمل، حيث ثبت أن هجرتها إلى المدينة بعد هجرة الرَّسول ﷺ بأشهر، كما ذكر الطبري أنه بعد عودة عبد الله بن أريقط إلى مكة أخبره بمكان أبيه فخرج عبد الله بعيال أبيه إليه[١٥٥]. ولا يمكن قبول تلك الرواية كون المنطقة كانت جبلية ومرتفعة، وقد عانى الرَّسول ﷺ وصاحبه أبو بكر ﷺ من الوصول إليها أشدّ المعاناة، وقد أشار إلى ذلك المقريزي فقال: "فلم يصعد الغار حتى قطرتْ قدما رسول الله ﷺ دمًا ...، وعادت قدما أبي بكر ﷺ كأنهما صفوان[١٥٦]"[١٥٧]؛ فكيف بأسماء رضي الله عنها أن تصعد ثلاث ليالٍ وفي ظلمة الليل وهو أمر مكلّل بالمشقة والعناء والتهلكة، وذلك لا يمكن قبوله لأن الدلائل تشير لما يُخالفه[١٥٨].

الرابع: أن هذا الدَّور – أي الإتيان بالطعام إلى الغار – قد ثبت أنه كان لعامر بن فهيرة مولى الصديق ﷺ ولم يكن لأسماء رضي الله عنها، وهو ما سيتم توضيحه في المبحث التالي.

([١٥٢]) ابن سعد: الطبقات، ١٥٨/٣.

([١٥٣]) ابن هشام: السيرة النبوية، ٤٨٩/١؛ قال ابن الأثير: "ومكثنا مليًا لا ندري أين توجه رسول الله ﷺ"، الكامل في التاريخ، ٦٩٧/١.

([١٥٤]) البخاري: الصحيح، ١٤٠/٥؛ ابن أبي شيبة: أبو بكر عبد الله بن محمد: كتاب المغازي، تحقيق: عبد العزيز إبراهيم العمري، ط١، دار إشبيليا، الرياض، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م، ١٥٢، ابن كثير: السيرة النبوية، ٣٣١/٢.

([١٥٥]) الطبري: تاريخ الأمم، ١٠/٢، وذكر ابن حجر أن هجرتها على وجه الدقة في شوال سنة إحدى من الهجرة ولا يستقيم الأمر بذلك؛ لأن الصواب أن أسماء رضي الله عنها وضعت حملها بعبد الله بن الزبير ﷺ في قباء وحنكه رسول الله ﷺ، فكيف بها تسير بمولودها من قباء إلى المدينة عند وضعها لحملها. انظر: الإصابة، ٧٩/٤.

([١٥٦]) صفوان: هو الصخر الأملس، وفي التنزيل العزيز: "كمثل صفوان عليه تراب". مصطفى الزيات وآخرون: المعجم الوسيط، ٥١٨/١.

([١٥٧]) المقريزي: الإمتاع، ٥٨/١.

([١٥٨]) ابن هشام: السيرة النبوية، ١/ ٤٨٩؛ قال ابن الأثير: "ومكثنا مليًا لا ندري أين توجه رسول الله ﷺ"، الكامل في التاريخ، ١/ ٦٩٧.

وعلى ذلك؛ فدور أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها الاستخباراتيّ خلال الهجرة المباركة قد انحصر في التّعمية على قريش عن كل ما يريدون معرفته عن أبي بكر الصديق ﷺ والنبيّ ﷺ، والتموين الغذائي لوالدها ﷺ ورسول الله ﷺ عند مغادرتهم منزل أبي بكر الصديق رضي الله عنه وليس بعده.

المبحث الرَّابع:

دور عامر بن فهيرة ﷺ الاستخباراتيّ في الهجرة المباركة:

دلّت النصوص الواردة في المصادر على أن دور عامر بن فهيرة قد انحصر في شقَّين اثنين:

الشّق الأوَّل: وهو الدَّور الاستخباراتيّ الذي يَسنُد مهمة عبد الله بن أبي بكر الصديق ﷺ، وهو المتمثل في محو كل أثر يدل على تحركات عيد الله نحو الغار، فقد ذكر أبن إسحاق أن عامر بن فهيرة كان إذا "أمسى أراح عليهما غنم أبي بكر ﷺ ...، فإذا عبد الله بن أبي بكر ﷺ غدا من عندهما إلى مكة، أتبع عامر بن فهيرة أثره بالغنم حتى يعفّي[١٥٩] عليه"[١٦٠]. فمهمة عامر ﷺ الاستخباراتيّة هي التظاهر برعي الأغنام مع الرعاه نهارًا حسب أمر الصديق ﷺ له[١٦١]، ثم يقوم بطمس ومحو كل أثر لعبد الله بن أبي بكر ﷺ عند ذهابه إلى مكة صباحًا، ثم العودة في المساء لمحو أثر عبد الله ﷺ عند ذهابه للغار.

ولقد كان هذا الدَّور الاستخباراتيّ في بساطته عملًا هامًّا لحماية الخطة الاستخباراتيّة للمهمة الأولى الأساسية، وهي مهمة نقل المعلومات الاستخباراتيّة التي يقوم بها عبد الله بن أبي بكر ﷺ، فقد تناول هذا الدَّور الاستخباراتيّ عملية تضليل المشركين من خلال طمس كل الدلائل والآثار التي من الممكن أن توصلهم إلى رسول الله ﷺ وصاحبه ﷺ في الغار[١٦٢].

الشّق الثَّاني: وهو دور التموين الغذائي، وهو ما نصَّ عليه كثير من المصادر[١٦٣] في كون الشخص الوحيد الذي كان بإمكانه مزاولة هذا الدَّور الاستخباراتيّ بعيدًا عن أنظار الناس ودون أن يُلفت حتى أنظار الرُّعيان من حوله الذين – أزعم – أن أغلبهم لا يهتمون

([١٥٩]) يعفي: يُقال عَفت الرياح الآثار، إذا درستها ومحتها، ومنه عفا الأثر: أي محاها. والعَفُوُ هو: الإمحاء والإزالة. ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث، ٢٤٠/٣؛ ابن منظور: لسان العرب، ٩/ ٣٠٣.

([١٦٠]) ابن هشام: السيرة النبوية، ٤٨٦/١.

([١٦١]) المصدر نفسه، ٤٨٥/١.

([١٦٢]) تذكر المصادر أن المشركين اقتفوا أثر رسول الله ﷺ وصاحبه حتى بلغوا الغار ثم انقطع الأثر عند باب الغار. وقد تتبع أكرم العُمري هذه الرواية في صحيح السيرة وبيّن ضعفها. السهيلي: الروض الأنف، ٣١٧/٢؛ الكلاعي: الاكتفاء، ٢٨٢/١؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ١٨١/٣؛ المقريزي: الإمتاع، ٥٨/١؛ العامري: بهجة المحافل، ١٧٢/١؛ أكرم العمري، السيرة النبوية الصحيحة، ٢٠٧/١-٢٠٨.

([١٦٣]) ابن هشام: السيرة النبوية، ٤٨٦/١.

بما يدور في أروقة قريش من جديد الأخبار، لأن أغلبهم من الموالي[١٦٤] والعبيد، وقد ذكرتْ كتب المصادر ما يدلّ على أن هذا الدَّور لم يكن لأحد سوى لعامر بن فهيرة ﷺ.

والخبر الذي ورد في السِّير مختلف عن ما ورد في الصحيح، حيث بينت كُتب السِّير أن عامر بن فهيرة ﷺ كان يمرّ بغنم أبي بكر الصديق ﷺ في الصباح والمساء "فاحتلبا وذبحا"[١٦٥]؛ وهذا فيه دليل على عدم الحاجة لسفرة أسماء بنت أبي بكر ﷺ في غير الليلة الأولى من الغار، وأما في الليلة الثَّانية وفي الثالثة فقد تبيّن أن عبد الله قد خرج في الليلة الأولى لطمس الأثر ومعرفة المكان، وأصبح في اليوم التالي يتتبع آثار عبد الله بن أبي بكر، وهنا تم تمكين الرَّسول ﷺ وصاحبه من شرب الحليب خلال الليالي الثلاث، وهو ما نصّت عليه رواية الطبري التي يقول فيها: "فأرسل أبو بكر عامرًا ﷺ إلى ثور، فكان عامر بن فهيرة ﷺ يروح بتلك الغنم على رسول الله ﷺ بالغار في ثَوْر"[١٦٦]، وهذه هي الليلة الأولى التي كان عبد الله قد تعرّف فيها على المكان لأنه قال بعد ذلك:" فإذا أمسى أراح عليهما غنم أبي بكر، فاحتلبا وذبحا"[١٦٧].

وأما الرواية الواردة في الصحيح عن أم المؤمنين عائشة فقد ذكرت: "ويرعى عليهما عامر بن فهيرة ﷺ مولى أبي بكر مِنْحة غنم فيريحها عليهما حين تذهب ساعة من العشاء، فيبيتان في رِسْلٍ – وهو لبن مِنْحَتهما رضِيفَهُمَا[١٦٨] – حتى يَنْعِقَ[١٦٩] بها عامر

([١٦٤]) الموالي: جمع مولى؛ وهذه الكلمة لها مواضع في كلام العرب؛ فلها معنى المالك، من وَليهُ ولايةً إذا ملكه، ولها معنى العبد، ولها معنى المعتق، وهو مولى النعمة حيث أنعم على عبده بعتقه، ولها معنى الصاحب، ومعنى القريب كابن العمّ ونحوه، ولها معنى الجار والحليف، وغيرها من المعاني الكثيرة. الزبيدي: تاج العروس، ٢٤٢/٤٠.

([١٦٥]) ابن هشام: السيرة النبوية، ٤٨٦/١ والنص له؛ السهيلي: الروض الأنف، ٣١٧/٢؛ الكلاعي: الاكتفاء، ٢٨٢/١؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ١٨١/٣؛ المقريزي: الإمتاع، ٥٨/١؛ العامري: بهجة المحافل، ١٧٢/١.

([١٦٦]) الطبري: تاريخ الأمم، ٥٦٨/١.

([١٦٧]) المصدر نفسه، ٥٧٠/١.

([١٦٨]) الرسْلُ: اللبَنُ، ويُقال كثر الرسْلُ العام؛ أي كثر اللبن. والرَضِيف على وزن رغيف: هو اللبن الذي توضع فيه الحجارة المحماة بالشمس أو النار لتزول رخاوته. ابن منظور: لسان العرب، ٣٠٠/١٣؛ ابن حجر: فتح الباري، ٢٨٠/٧.

([١٦٩]) يَنعِق: والنَعِيقُ: دعاء الراعي الشاء ويُقال انْعقْ بضَأنك أي أدْعها، ونَعَق الراعي الغنم يَنْعِقُ نَعْقًا: أي صاح بها وزجرها. ابن منظور: لسان العرب، ٢٣٤/١٢؛ ابن حجر: فتح الباري، ٢٨٠/٧.

بن فهيرة بغلسٍ[١٧٠]، يفعل ذلك في كل ليلة من تلك الليالي الثلاث"[١٧١]، ولم تذكر في نص الحديث ما يدل على الذبح. وقولها فيبيتان في رِسْل – وهو اللبن اليومي الطازج[١٧٢] والمرضوف المسخن بالحجارة الساخنة[١٧٣] – دليل مبيتهم مكتفين باللبن دون غيره.

ويميل الباحث إلى كونهم كانوا مكتفين باللبن الذي يقوم بتوفيره عامر بن فهيرة ﷺ دون الذبح؛ لأن الذبح كان بحاجة إلى طبخ ونار، وربما كانت هذه النار سببًا في معرفة مكان وجود النبيّ ﷺ وصاحبه الصديق ﷺ بشعلتها أو دُخانها[١٧٤]، وإن كان لا يمكن الجزم بذلك، ولكنه مما تستدعيه الظروف من سرية وكتمان، ويمكن الخروج من مأزق الرواية المتعارضة مع خبر الصحيح وشاهد الخبر إلى أن عامر بن فهيرة ﷺ هو من يقوم بمهمة الذبح والسلخ والطبخ بعيدًا عنهم، ثم يزودهم به جاهزًا، فهذا ممكن كون كثير من الرعيان كانوا يرعون في المراعي ولا يعودون للحي إلا لضروراتهم، وأما مواشيهم فكانت تبقى بعيدة في المراعي، كما أن دليل هجرة عامر بن فهيرة ﷺ مع مولاه أبي بكر ﷺ ورسول الله ﷺ، وكونه كان رديفًا لأبي بكر ﷺ[١٧٥] يدلّ على أن الهجرة كانت دون تلك الأغنام، وربما يُعد ذلك دليلًا على الذبح والسلخ لها.

وعلى ما سبق ذكره، فإن ما يمكن قوله أن الدَّور الاستخباراتيّ لعامر بن فهيرة ﷺ تمثّل في طمس الآثار عن أعين المشركين، وتزويد الرَّسول ﷺ وصاحبه ﷺ بالزاد كل يوم، وهو ما ثبت بين يدي الباحث من خلال ما بيناه في ثنايا هذا البحث.

---

(١٧٠) غَلس: يقال: الغَلَس: ظلام آخر الليل، والغَلَسْ: أول الصبح حتى ينتشر في الآفاق، والصواب ظلمة آخر الليل إذا اختلط بها ضوء الصباح. ابن منظور: لسان العرب، ٣٥/٨.

(١٧١) البخاري: الصحيح، ١٤٠/٥.

(١٧٢) ابن منظور: لسان العرب، ٣٠٠/١٣.

(١٧٣) ابن منظور: لسان العرب، ٣٠٠/١٣؛ ابن حجر: فتح الباري، ٢٨٠/٧.

(١٧٤) إبر اهيم محمد: قراءة في جوانب الحذر، ١٥٤.

(١٧٥) الحاكم: المستدرك، ٩/٣؛ ابن حجر: فتح الباري، ٢٨١/٧؛ ابن الأثير: أسد الغابة، ٣١/٣.

الخاتمة:

وبعد؛ فمن خلال عرضنا المفصّل لذلك الدّور الاستخباراتي الذي قام به ثلّة من الصحابة لأجل حماية النبيّ ﷺ أثناء هجرته المباركة إلى المدينة، فإنه يمكننا في ما يلي الوصول إلى أهمّ النتائج المرجوّة من هذه الدراسة، وهي كالتالي:

١- إن العمل الاستخباراتي هو أمرٌ قديم عرفته البشرية منذ عصور ما قبل الإسلام لحاجة الأمم إلى حماية أمنها بمعرفة عدوّها والتّصدّي لمكائده قبل وقوعها.

٢- احتاجتْ الهجرة النبوية إلى عمل استخباراتي لحماية النبيّ ﷺ من كيد كفار قريش الذين خطّطوا لقتله أو منعه من الهجرة خارج مكة.

٣- ظهر الدور الاستخباراتي المرافق للهجرة النبوية المباركة والهادف إلى حماية النبيّ ﷺ عندما بدأتْ الاستعدادات اللازمة لهذه الهجرة، وذلك تزامناً مع استعداد قريش لقتله ﷺ أو منعه من مغادرة البلد الأمين.

٤- اقتصر دور عليَّ بن أبي طالب ﷺ الاستخباراتيّ على التّمويه والتّعمية والتضليل على قريش حتى يصل الرَّسول ﷺ إلى هدفه.

٥- تمثّل دور عبد الله بن أبي بكر ﷺ الاستخباراتيّ في جمع المعلومات وتحليلها وحصر كل الحيل والخطط التي تفكر بها قريش أو تتدارسها في نواديها، ثم حفظها ووعيها.

٦- قام عبد الله بن أبي بكر بنقل المعلومات الاستخبارية إلى رسول الله ﷺ وصاحبه أبي بكر ﷺ في الغار كل ليلة حتى موعد الهجرة النَّبويَّة المباركة.

٧- تركّز دور أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها الاستخباراتيّ في التّعمية عن قريش في كلّ ما يتعلّق بأخبار النبيّ ﷺ وصاحبه أبي بكر ﷺ.

٨- كان دور أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنها هو التّموين في بداية الرحلة، ثم التّعمية والتضليل بعد وقوع الهجرة والخروج من مكة.

٩- لم يثبُتْ – وبالأدلّة الكثيرة – أن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها كانت تأتي إلى الغار لتوصل الطعام إلى رسول الله ﷺ وصاحبه.

١٠- إنّ تجهيز أسماء رضي الله عنها لسفر الرَّسول ﷺ كان سابقًا لدخول رسول الله ﷺ الغار ومُزامنًا للخروج من منزل أبي بكر الصّديق ﷺ.

١١- تمثّل الدَّور الاستخباراتيّ لعامر بن فهيرة ﷺ في مهمّتين مختلفتين هما التَّضليل على المشركين، والتموين الغذائي لرسول الله ﷺ وصاحبه الصّديق ﷺ كل ليلة.

التَّوصيات:

يُوصي الباحث في هذا المقام بما يلي:

١- تكثيف البحوث الأكاديمية المتعلقة بالعمل الاستخباراتيّ ودوره في التاريخ الإسلامي عمومًا وفي السيرة النبوية على وجه الخصوص.

٢- إقامة الندوات وورش العمل العلمية حول موضوع الإستخبارات الإسلامية في العهد النبوي والراشدي.

٣- مُتابعة ما كتبه المستشرقون حول هذا الموضوع وترجمة المنصف منه إلى اللغة العربية، والرّد على المغرض منه في رسائل علمية أو مقالات مُحكَّمة.

المصادر والمراجع:

أولاً: المصادر:

١- **ابن أبي شيبة:** أبو بكر عبد الله بن محمد الكوفي (ت٢٣٥هـ/٨٤٩م): كتاب المغازي، تحقيق: عبد العزيز إبراهيم العمري، ط١، دار إشبيليا، الرياض، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م. وكذلك تحقيق: عبد الخالق الأفغاني، الدار السلفية، د.ط، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

٢- **ابن الأثير**: أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري (ت٦٠٦هـ/١٢٠٩م): النهاية في غريب الحديث والأثر، تخريج وشرح: صلاح محمد عويضة، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

ابن الأثير: أبو الحسن علي بن محمد الجزري (ت٦٣٠هـ/١٢٣٢م):

٣- أسد الغابة في معرفة الصَّحابة، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م.

٤- الكامل في التاريخ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، ط١، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.

٥- **ابن بكار**: الزبير بن بكار القرشي (ت٢٥٦هـ/٨٧٠م): جمهرة نسب قريش وأخبارها، تحقيق: عباس هاني الجراخ، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٣٠هـ/٢٠١٠م.

ابن حجر: أبو الفضل أحمد بن علي العسقلاني (ت ٨٥٢هـ/١٤٤٨م):

٦- الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق: عادل عبد الموجود وعلي معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٣، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.

٧- فتح الباري بشرح صحيح البخاري، تحقيق: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، ط١، دار الفكر، بيروت، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.

٨- **ابن حنبل**: أحمد بن حنبل الشيباني (ت٢٤١هـ/٨٥٥م): المسند، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.

٩- **ابن خلكان**: أحمد بن محمد الأربيلي (ت٦٨١هـ/١٢٨٢م): وفيات الأعيان وإنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، د.ط، دار صادر، بيروت، ١٩٧٢م.

١٠- **ابن سعد**: محمد بن منيع الزهري (ت٢٣٠هـ/٨٤٤م): كتاب الطبقات الكبير، تحقيق: علي محمد عمر، ط١، الشركة الدولية للطباعة، القاهرة، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م.

١١- ابن الضياء: أبو البقاء محمد بن أحمد المكي الحنفي (ت٨٥٤هـ/١٤٥٠م): تاريخ مكة المشرفة والمسجد الحرام والمدينة الشريفة والقبر الشريف، تحقيق: علاء إبراهيم وأيمن نصر، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م،

١٢- **ابن عبد البر**: يوسف بن عبد الله القرطبي (ت٤٦٣هـ/١٠٧٠م): الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ط١، دار الجبل، بيروت، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

١٣- **ابن عبد ربه**: أحمد بن محمد القرطبي (ت٣٢٨هـ/٩٤٠م): العقد الفريد، تحقيق محمد عبد القادر شاهين، ط١، المكتبة العصرية، بيروت،١٤١٩هـ/١٩٩٨م.

ابن كثير: أبو الفداء إسماعيل بن عمر الدمشقي (ت٧٧٤هـ/١٣٧٢م):

١٤- البداية والنهاية، مكتبة المعارف، بيروت، ١٤١٢هـ/١٩٩١م.

١٥- تفسير القرآن العظيم، تحقيق: أبو عمر ناصر الدمياطي، دار العقيدة، ط١، الإسكندرية، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.

١٦- السّيرة النَّبويَّة، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م.
١٧- **ابن منظور**: أبو الفضل محمد بن مكرم المصري (ت٧١١هـ/١٣١١م): لسان العرب، ط٣، بيروت، دار صادر، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.
١٨- **ابن هشام**: عبد الملك بن هشام الحميري (ت٢١٣هـ/٨٢٨م): السيرة النَّبويَّة، تحقيق: مصطفى الأعضمي وآخرون، دون تاريخ، علوم القرآن، جدة، دون تاريخ.
١٩- **أبو نعيم**: أحمد بن عبد الله الأصبهاني (ت٤٣٠هـ/١٠٣٨م): معرفة الصحابة، تحقيق: محمد راضي حاج، ط١، مكتبة الدار، المدينة المنورة، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.
٢٠- **الأزرقي:** محمد بن عبد الله المكي (ت٢٤٤هـ/٨٥٨م): أخبار مكة وما جاء فيها من الأثار، تحقيق: رشدي الصالح ملحس، دار الأندلس للنشر، بيروت، د.ت.
٢١- **البخاري**: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل الجعفي (ت٢٥٦هـ/٨٦٩م): صحيحه المعروف بالجامع الصحيح، تحقيق: قاسم الشماعي الرفاعي، ط١، دار الأرقم، بيروت، ١٤١١هـ/١٩٩٠م.
٢٢- **البكري**: أبو عبيد الله عبد الله بن عبد العزيز الأندلسي (ت٤٨٧هـ/١٠٩٤م): معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، تحقيق: جمال طلبة، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٨هـ/١٩٩٨م.
٢٣- **البلاذري**: أحمد بن يحيى البغدادي (ت٢٧٩هـ/٨٩٢م): أنساب الأشراف، تحقيق: محمد حميد الله، د.ط، معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية ودار المعارف، مصر د.ت.
٢٤- **البيهقي**: أبو بكر أحمد بن الحسين (ت٤٥٨هـ/١٠٦٥م): السنن الكبرى، ط٣، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.
٢٥- **الحموي**: ياقوت بن عبد الله الرومي (ت٦٢٦هـ/١٢٢٨م): معجم البلدان، ط٨، بيروت، دار صادر،١٤٢٩ هـ/٢٠١٠م.
٢٦- **الخزاعي:** علي بن محمد بن موسى (ت٧٨٩هـ/١٣٨٧م): تخريج الدلالات السمعية على ما كان في عهد رسول الله ﷺ من الحرف والصنائع والعمالات الشرعية، تحقيق: إحسان عباس، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م
٢٧- **الذهبي**: شمس الدين محمد بن أحمد الدمشقي (ت٧٤٨هـ/١٣٧٤م): سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرون، ط٢، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.
٢٨- **الزبيدي**: محمد بن محمد المرتضى اليمني (ت١٢٠٥هـ/١٧٩٠م): تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: عبد المنعم خليل وكريم سيد محمد، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.
٢٩- **السهيلي**: عبد الرحمن بن عبد الله الخثعمي (ت٥٨١هـ/١١٨٥م): الروض الأنف في تفسير السيرة النَّبويَّة لابن هشام، علق عليه: مجدي بن منصور الشوري، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت د.ت.
الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير (ت٣١٠هـ/٩٢٢م):
٣٠- تاريخ الطبري تاريخ الأمم والملوك، ط٤، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.
٣١- جامع البيان عن تأويل القرآن، تحقيق: محمود شاكر، ط١، دار الأعلام ودار ابن حزم، عَمان ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م.
٣٢- **العامري**: عماد الدين يحيى بن أبي بكر اليمني (ت٨٩٣هـ/١٤٤٨م)، بهجة المحافل وبغية الأماثل في تلخيص المعجزات والسير والشمائل، تحقيق: زكريا عميرات، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.

٣٣- **الكلاعي**: سليمان بن موسى الحِمْيري (ت٦٣٤هـ/١٢٣٦م): الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.
٣٤- **الكلبي**: أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب (ت٢٠٤هـ/٨١٩م): كتاب الأصنام، تحقيق: أحمد زكي، د.ط، الدار القومية، القاهرة، ١٤٤٣هـ/١٩٢٤م.
٣٥- **المقريزي**: تقي الدين أحمد بن علي المصري (ت ٨٤٥هـ/١٤٦١م): إمتاع الأسماع بما للنبي ﷺ من الأحوال والأموال والمتاع، تحقيق: محمد عبد الحميد النمسي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.
٣٦- **النَّسائي**: أبو عبد الرحمن أحمد بن عليّ بن شعيب (ت٣٠٣هـ/٩١٥م): خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، تحقيق: أحمد ميرين البلوشي، ط١، مكتبة المعلي، بيروت، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.
٣٧- **النووي:** محيي الدين بن شرف الحوراني (ت٦٧٦هـ/١٢٧٧م): تهذيب الأسماء واللغات، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٠هـ/١٩٩١م.
٣٨- **الهيثمي**: نور الدين عليّ بن أبي بكر المصري (ت٨٠٧هـ/١٤٠٤م): مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، تحقيق حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، القاهرة، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.
٣٩- **الواقدي**: محمد بن عمر الأسلمي (ت٢٠٧هـ/٨٢٢م): المغازي، تحقيق: ماردسن جونس، د.ط، دار المعارف، مصر، ١٩٦٤هـ/١٣٨٤م.
٤٠- **اليعقوبي**: أحمد بن إسحاق الكاتب (ت٢٩٢هـ/٩٠٥م): تاريخه، تحقيق: عبد الأمير مهنا، ط١، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.

ثانيًا: المراجع:

٤١- **أزهار**: عبد الوهاب جان: "الاستخبارات في العهد المكّي دراسة تحليلية"، مجلة العلوم الإسلامية والدينية، مجلد ٤، ع١، يناير/ يونيو٢٠١٩م.
٤٢- **البلادي**: عاتق غيث: معجم معالم الحجاز، ط١، دار مكة، مكة المكرمة، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م.
٤٣- **الحارثي**: ناصر بن عليّ: دار الأرقم بن أبي الأرقم المخزومي بمكة المكرمة؛ دراسة تاريخية حضارية، مجلة الدارة، السنة ٣١، العدد ٣، رجب ١٤٢٦هـ، دارة الملك عبد العزيز، الرياض.
٤٤- **رزق الله**: مهدي: السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ط١، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.
٤٥- **رضا**: أحمد: معجم متن اللغة (موسوعة لغوية حديثة)، دار مكتبة الحياة، بيروت، (د.ط)، ١٣٧٧هـ/١٣٥٨م.
٤٦- **الزركلي:** خير الدين محمود: الأعلام؛ قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، دار العلم للملايين، بيروت، ١٤٠١هـ/١٩٨٠م.
٤٧- **العمري**: أكرم ضياء: السيرة النَّبويَّة الصحيحة، ط٥، مكتبة دار العلوم والحكم، المدينة المنورة ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.
٤٨- **فرحات**: كرم حلمي، تاريخ المخابرات الإسلامية عبر العصور، ط١، مكتبة البخاري، القاهرة، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.
٤٩- **محمد**: إبراهيم عليّ: قراءة في جوانب الحذر والحماية في السيرة النَّبويَّة، ط١، وزارة الأوقاف القطرية، الدوحة، ١٤١٧هـ/٢٠٠٧م.